مجلة إسلامية دعوية تعليمية تربوية

نفحات المدينة

العدد الثاني والعشرون
ذو الحجة | محرم | صفر 48-1447 هـ

تقرؤون فيها

مجلة
نفحات المدينة
مجلة إسلامية تعليمية تربوية
العدد الثاني والعشرون
ذو الحجة | محرم | صفر 48-1447 هـ

يصدرها
مركز الدعوة الإسلامية

تحت رعاية
فضيلة الشيخ
محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى

المحتويات


المدير العام
- مهروز علي العطاري المدني


المدير التنفيذي
- عبد الله المدني


المشرف
- أبو سفيان محمد راشد المدني


المفتش الشرعي
- المفتي جميل أحمد الغوري العطاري المدني


التدقيق والتصحيح
- طارق المحمد • محمد حسان رضا المدني


الإخراج
- إدارة الشؤون العربية التابعة لمركز الدعوة الإسلامية


التزيين والتصميم
- محمد نديم الأنصاري المدني

الشيخ محمّد قاسم العطّاري حفظه الله تعالى
المفتي العام بمركز الدعوة الإسلامية ورئيس قسم دار الإفتاء

ثمرة الإيمان والعمل

المودّة في القلوب

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[1].

تفسير الآية في ضوء السنّة النبويّة

ذكر جمهورُ المفسِّرين في تفسير هذه الآية الحديثَ الشريف الوارد في الصحيحين، أنّ النبيّ ﷺ قال:

«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ».[2]

وقد ثبت عن النبي ﷺ أيضًا أنّه ذكر هذا الحديث في تفسير الآية، كما ورد في "سنن الترمذي"، 109/5، (3172).

أقوال السلف في معنى الوُدِّ:

- جاء عن سيّدنا عبد الله بن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما، في قوله تعالى ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ قال: محبّة في الناس في الدنيا.
- وعنه أيضًا: الودّ من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن، واللسان الصادق.
- قال الإمام مجاهد رحمه الله تعالى: يُحبّهم ويُحببهم إلى خلقه،[3].
- قال العابد الزاهد هرِمُ بن حيّانٍ رحمه الله تعالى: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عزّ وجلّ إلّا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتّى يرزقه مودّتهم،[4]

تمثيل بديع لثمرات الإيمان والعمل

نقل العلّامة إسماعيل حقّي رحمه الله تعالى عن كتاب "التأويلات النجمية" تصويرًا بديعًا لثمرات الإيمان والعمل الصالح، حيث قال: يُشير إلى أنْ بذر الإيمان إذا وقع في أرض القلب وتربّى بماء الأعمال الصالحات ينمو ويتربى إلى أنْ يثمر فتكون ثمرته محبّة الله ومحبّة الأنبياء والملائكة والمؤمنين جميعًا. (5)

القبول العام دليل على محبّة الله تعالى

يُستفاد من الآية والحديث المذكورَيْن في بداية المقال:

أنّ القبول العام الذي يحظى به المؤمنون الصالحون والأولياء الكاملون هو علامة على محبّة الله لهم، وعطيّةٌ خاصّةٌ منه سبحانه وتعالى.

ومن الشواهد الواضحة على ذلك ما حظي به آلافُ الأولياء الكرام من قبولٍ واسعٍ في الأمّة، كالولي الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني، وسلطان الهند الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري، والشيخ فريد الدين مسعود، والشيخ علي بن عثمان الهجويري، والشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي مجدّد الألف الثاني، والشيخ الإمام أحمد رضا خان الحنفي الهندي، والشيخ مهر علي شاه وغيرهم رحمهم الله تعالى أجمعين.

وبحسب الحديث المتقدّم، فإنّ قلوب الناس تميل بطبعها إلى الصالحين والأولياء، من غير أنْ يسعَوا وراء الشهرة أو يتكلّفوا أسباب القبول.

وقد قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسير الآية المذكورة: إنّ من الأقوال في هذه الآية -وهو قول الجمهور- أنّه تعالى سيُحدِثُ لهم في القلوب مَودّةً ويَزرَعُها لهم فيها مِن غير توَدُّدٍ منهم، ولا تعرُّضٍ للأسباب التي يَكتَسِبُ الناسُ بها مَوَدّاتِ القلوب من قرابةٍ أو صداقةٍ أو اصْطِناعِ معروفٍ أو غير ذلك، وإنّما هو اخْتِراعٌ منه تعالى، وابْتِداءٌ تخصيصًا لأوليائه بهذه الكرامة كما قذَفَ في قلوب أعدائهم الرعبَ والهيبةَ إعظامًا لهم وإجلالًا لمكانهم. (6)

صفات الأولياء وأخلاقهم

وعند التأمّل في معاني هذه الآية المتقدّمة، والنظرِ في أعمال الأولياء الصالحين وأخلاقهم الحسنة وخصالهم الجميلة وأوصافهم الحميدة، يتجدّد الإيمان بصدق القرآن الكريم، فإذا ألقينا نظرة على سير هؤلاء الأولياء، رأينا غصون الأعمال الصالحة تتمايل على شجرة الإيمان:

- **فنرى في حياتهم النموذج الرفيع في اتّباع الكتاب والسنّة، واجتماع العلم بالعمل، وإيثار الآخرة على الدنيا.**
- **وتتجلّى في عاداتهم اليوميّة إحياء الليالي، والبكاء، وقيام الليل والسجود والعبودية لِلّه بالحبّ والخشية، وذكر الله، وتلاوة القرآن، والتفكّر والتدبّر، والتوبة والاستغفار.**
- **وتبرز في أعمالهم القلبيّة محاسبة النفس، والإخلاص لِلّه، والصبر والشكر، والتوكّل على الله، والتوحيد الكامل، والتسليم والرضا، والفقر والقناعة، والزهد والورع، والتفكّر في الآخرة، ومحبّة الله والرضا بقضائه، والنصح للخلق، واحترام المسلم، وحسن الظنّ.**
- **ويظهر في أقوالهم وأفعالهم لين الكلام، والعزم على الاجتهاد والسعي، وحسن الظنّ بالمسلمين، والعفو والصفح، وحسن المعاملة مع المخالفين، وأداء حقوق العباد، والشفقة والرحمة بالخلق.**
- **وكذلك شيمتهم التواضع والانكسار، وهم مع ذلك كلّه لا يأمنون مكر الله، ويخافون سوء الخاتمة.**
- **أولئك هم الذين تبدو عليهم بوضوحٍ صفاتُ المؤمنين والصالحين والمتّقين والصابرين والشاكرين والخاشعين والمطيعين والمتوكّلين والمحبّين والناصحين وأصحاب اليمين وغيرهم؛ وجزاءً على ذلك يُلقي الله عزّ وجلّ محبّتهم وقبولهم في قلوب العباد.**

الإخلاص سرّ القبول

انظروا اليوم، كيف ينام أولياء الله تعالى في مراقدهم والناس ينجذبون إليهم من كلّ حدبٍ وصوب، رغم أنّهم لم يروهم في الأزمنة السابقة، وكذلك انظروا إلى العلماء والصلحاء والمشايخ الكرام الأحياء الموجودين بيننا، ممّن هم أهل تقوى وصلاح، كيف يحبّهم الناس ويذكرونهم بالخير، ومَن أراد مثالًا على ذلك فليشاهد ما منح الله للشيخ محمّد إلياس العطّار القادري حفظه الله من قبولٍ واسعٍ، وشهرةٍ، ومحبّةٍ وتقديرٍ في القلوب، فما ذلك إلّا ثمرةً للأعمال الصالحة التي تمت بإخلاص لوجه الله الكريم.

الفرق بين الرياء والإخلاص غالبًا ما يخفى على الناس، لكنّه لا يخفى على الله عزّ وجلّ، والله تعالى يُجازي العمل بحسب حقيقته.

وقد رُوي عن الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى أنّ رجلًا قال:

والله! لأعبدنّ الله عبادة أُذكَرُ بها، فكان لا يُرى في حين صلاة إلّا قائمًا يصلّي، وكان أوّل داخل إلى المسجد وآخرَ خارج، فكان لا يُعَظّم، فمكث بذلك سبعة أشهر، وكان لا يمرّ على قوم إلّا قالوا: "انظروا إلى هذا المرائي"، فأقبل على نفسه فقال: لا أُراني أُذكَر إلّا بشرّ، لأجعلنّ عملي كلّه لله عزّ وجلّ، فلم يزد على أنْ قَلَبَ نيّته، ولم يزد على العمل الذي كان يعمله، فكان يمرّ بعدُ بالقوم، فيقولون: رحم الله فلانًا الآن، وتلا الحسن البصري رحمه الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾. (7)

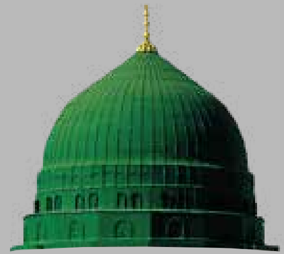
وأخيرًا نسأل الله تعالى أنْ يرزقنا الإخلاص في العمل، آمين بجاه النبي الأمين ﷺ.

(1) [مريم: 96].
(2) (صحيح البخاري: 382/2، (3209)).
(3) (تفسير الطبري: 385/8).
(4) (تفسير الخازن: 248/3).
(5) (روح البيان: 359/5).
(6) (التفسير الكبير للرازي: 567/7، مختصرًا).
(7) [مريم: 96]، (تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 238/5).


الشيخ المفتي محمّد حسّان العطّاري المدني حفظه الله تعالى



وجوب النهي عن المنكر ومراتبه



عن سيّدنا أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1].

المقصود من هذا السؤال:

إنّ مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقع على المكلّف حسب استطاعته وقدرته، وبناءً على ذلك فإنّ الفئة التي تتمتّع بالولاية والسلطة على الآخرين؛ كحاكم المسلمين على رعيّته، والوالدين على أبنائهم، والمعلّمين على طلّابهم، يجب عليهم إذا رأوا مَن تحت سلطتهم وولايتهم متلبّسًا بمنكرٍ أنْ يمنعوه منه، حتّى وإن استلزم الأمر استخدام وسائل التأديب والعقوبات التعزيريّة، شريطة الالتزام بالحدود والضوابط التي أقرتها الشريعة الإسلاميّة.



أمّا العلماء والدُّعاة الذين لا يملكون سلطةً تنفيذيّةً على الناس، فعليهم القيام بهذا الواجب (أي: النهي عن المنكر) عبر الوسائل المختلفة؛ كإلقاء خطب الجمعة، والمواعظ في الحفلات والاجتماعات، أو من خلال التصنيف والتأليف والمراسلات، بل إنّ المفتي أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى أدرج دور "الشُّعراء" في قمع المنكرات عبر قصائدهم ضمن وسيلة النهي عن المنكر باللسان والقلم[2].

وأمّا عامّة الناس الذين لا يملكون القدرة على التغيير حتّى بألسنتهم، فعليهم أنْ ينكروا المنكر بقلوبهم، وإنْ كان هذا يمثل أدنى وأضعف درجات الإيمان؛ إذ الأصل هو السعي للتغيير باللسان، إلّا أنّ المرء حين يكره المعصية بقلبه؛ فإنّ ذلك يضمن ابتعاده عنها بنفسه، وهذا يؤدّي بالنتيجة إلى صلاح الكثير من أفراد المجتمع واستقامة حالهم تلقائيًا.

ولا تنسوا أيّها الأحبّة! أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون واجبًا في حالاتٍ معيّنةٍ، كما ذكر المفتي محمّد أمجد علي الأعظمي رحمه الله تعالى نقلًا عن "الفتاوى الهنديّة": إنّ الأمرَ بالمعروف على وُجوهٍ:

إنْ كان يَغلب على ظنّه أنّه لو أَمرَ بالمعروف سيَقبَلون ذلك منه ويمتنعُون عن الْمُنكَر فالأمرُ واجبٌ عليه ولا يَسَعُه تَركُه[3].

قال الحافظ ابن الملقن رحمه الله تعالى: النهي عن المنكر فرض كفاية[4].

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى: النهي عن المنكر بالقلب فرض عين لا يسقط عن أحدٍ بحالٍ من الأحوال[5].



وقد جاء في الحديث الشريف: عن سيّدنا العُرْس بن عَمِيرَةَ الكِندِي رضي الله عنه، عن النبي الكريم ﷺ قال:

«إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا -وقال مرّةً: «أَنْكَرَهَا»- كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»[6].



ملاحظة:

(لمزيد من التفاصيل والفوائد النافعة حول هذا الموضوع يُمكِنُ مراجعة كتاب **"الدعوة إلى الخير"** لفضيلة الداعية الإسلامي العارف بالله الشيخ محمّد إلياس العطّار القادري حفظه الله تعالى ورعاه).

---

(1) (صحيح مسلم: صـ 48-49، (177).
(2) (مرآة المناجيح: 503/6، تعريبًا من الأردية بتصرف).
(3) (الفتاوى الهندية: 352/5) و(بهار شريعت: 615/3، تعريبًا من الأردية بتصرف).
(4) (المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن: صـ 394، مختصرًا).
(5) (الفتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي: صـ 547، بتصرف).
(6) (سنن أبي داود: 166/4، (4345)).

الشيخ محمّد قاسم العطّاري حفظه الله تعالى
المفتي العام بمركز الدعوة الإسلامية ورئيس قسم دار الإفتاء

الوعي الديني ومسؤوليتنا

(الجزء الأول)

ما هي الحساسية الدينية؟

الحساسية الدينية هي تطبيق الشريعة الإسلامية على النفس، والاهتمامُ بحال الآخرين، وتعليمُ المجتمع كلّه العقائد الصحيحة، والالتزامُ بالدين، والشعورُ بالغيْرة القلبية عند وقوع المخالفة في العقائد والأعمال الإسلاميّة، مع السعي العملي لمعالجة تلك المخالفات، أمّا تقصيرُ المرء في الالتزام بالشريعة، وتركه الآخرين غارقين في الشر مع قدرته على منعهم، فهذه لا مبالاة سيئة، وترك للمسؤوليّة الدينيّة، وهو فعلٌ مذموم.

ومِن أبرز أسباب هلاك الأمم السابقة التي ذكرها القرآن الكريم أنّهم كانوا لا ينهون الآخرين عن المنكرات، كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (1).

بل إنّ نهيَ الآخرين عن المنكر ليس مجرّد إصلاحٍ للغير، بل هو في جوهره صيانةٌ للنفس وحراسةٌ لها من الزلل؛ فالناهي يرسَخ في قلبه رفض المعصية، فيبقى - في الغالب - أبعدَ عنها وأشدّ تحفّظًا منها، أمّا مَن آثر الصمت أمام ما ينتشر في المجتمع مِن منكرات، فإنّه يعرّض نفسه شيئًا فشيئًا للألفة معها، وربما لا يأمن نفسه فيقع فيها يومًا ما، وقد كشف النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم هذه الحال فقال:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (2).

ومع ذلك، فقد يسّر الله تعالى هذا التكليف رحمةً بعباده، فلم يجعل إزالة المنكر مقصورةً على القوّة في كلّ حال، بل رتّبها على مراتب تراعي القدرة والاستطاعة: فمن استطاع تغييره بيده فليفعل، فإن لم يستطع فبلسانه، فإنْ عجز فبقلبه، فينكره ويستشعر قبحه، ويعدّه شرًا لا يرضاه لنفسه ولا لغيره.

ولا يجوز بحالٍ أن يقع المرء في براثن العلمانية (Secularism)، فيقول: يكفيني إصلاح نفسي، ودعوا الآخرين وشأنهم! فهذه نزعةٌ تعزل الدين عن واقع الحياة، وليستْ مِن الإسلام في شيء، بل هي مسلكٌ مباين لروحه ومقصده، وقد وجّه النبيّ الأكرم ﷺ توجيهًا صريحًا في هذا الباب، فقال:

"من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (3).

فليس من حكم الشرع أن يكتفي المرء بالعمل لنفسه، ثمّ يلوذ بالصمت تجاه ما يقع فيه غيره، أو يجعل الإنكار القلبي غاية ما يُطلب في كلّ حال؛ كلّا، بل إنّ أول مراتب التغيير هي التغيير باليد، أي بالقوة المنظّمة المنوطة بوليّ الأمر والجهات المختصة، ثم يأتي التغيير باللسان، وهو واجب العلماء ومَن يقوم مقامهم في البيان والنصح والتوجيه، ثمّ أدنى المراتب وهو الإنكار بالقلب، وذلك حال من عجز عن غيره..

غير أنّ المؤسف أنّ بعض مَن يقدّمون التصورات العلمانية على الإسلام يسعون إلى ترسيخ الاكتفاء بأضعف مراتب الإيمان، وإخراج الجهود العملية والبيانية مِن دائرة الحساسية الدينية، حتى باتت الدعوة العملية أو اللسانية إلى مقاومة المنكر في المدارس والجامعات والمؤسسات تُوصَف بـ«التطرف».

وهذا في حقيقته مسعى لإخماد الغيرة الدينية، وتهيئة المجال لمن أراد العبث بقيم الإسلام وأحكامه دون رادع..

الحبّ والصداقة مع غير المسلمين:

إنّ تأييد مشاركة غير المسلمين في أعيادهم الدينية، والقول بأنّ الله تعالى لم ينهَ عن مودّة غير المسلمين مطلقًا، قولٌ باطلٌ وافتراءٌ عظيم على الله سبحانه وتعالى، نعوذ بالله من ذلك..

وهذا خلطٌ بيّن؛ فإنّ نصوص القرآن الكريم جاءت واضحةً في النهي عن موالاة الكافرين على وجهٍ يقتضي النصرة والرضا بدينهم أو تأييد شعائرهم، قال الله تعالى:

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴿٨١﴾﴾(4)

بل إنّه قد حُرِّمت محبّةُ الكافرين حتى وإنْ كانوا مِن الأقربين؛ كالأب، أو الابن، أو الأخ، أو أفراد الأسرة، حيث قال الله تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾(5).

رغم وضوح هذه الآيات وصراحتها، أليس إنكارُ أنّ الإسلام قد نهى عن مودّة غير المسلمين وموالاتهم ضربًا من الجرأة على النصوص؟ أليس في ذلك إعراضٌ بيّن عنها؟ أليس هو أمارة ميلٍ إلى موالاتهم، أو دلالة على نفورٍ من بعض أحكام هذا الدين؟ إنّ التساهل في هذه القضية ليس أمرًا هيّنًا، بل هو مساسٌ بأصلٍ من أصول الولاءِ والبراء التي قرّرها القرآن الكريم. وهنا سؤال:

هل المنع خاصّ بالكافرين المحاربين فحسب؟

يزعم كثير من أصحاب التوجّه العلماني أنّ الآيات الناهية عن موالاة الكفّار إنما تتعلّق بالمحاربين وحدهم، غير أنّ التدبّر في نصوص القرآن يدلّ على أنّ العلّة الأساس في النهي عن مودّتهم وموالاتهم هي كفرهم ومخالفتهم لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم، وما ينشأ عن ذلك من معاداةٍ لدين الله، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾(6).

ما أصرحَ البيان في توضيح سبب تحريم المحبّة والصداقة القلبية مع الكافرين؛ إذ بيّن أنّ تفضيل الكفر على الإيمان هو العلّة الموجبة للمنع من تلك الموالاة، فهل يسوغ بعد هذا البيان أن يُقال: إنما تُحظر الصداقة مع من كان في حال قتالٍ فحسب، وأنّ غيرهم لا يدخل في النهي؟

أمّا الذين لا يقاتلون المسلمين، فقد أذن الله تعالى في حسن المعاملة الدنيوية معهم فقط، دون المودّة القلبية أو الصداقة التي تقتضي الولاء فهي حرام معهم أيضًا كما قال الله تعالى:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴿٨﴾﴾(7).

وهذا الترخيص لا يتضمّن الإذن بمودّة الكافرين، وإنما أُبيح فيه برُّ مَن لم يُحاربوا المسلمين، ممّن بينهم وبين المسلمين عهدُ أمان، أو كانوا مِن أهل الذمّة، وذلك في حدود «البرّ» أي الإحسان إليهم لمصلحةٍ مشروعة، و«الإقساط» أي العدل معهم وعدم ظلمهم.

وهذا المفهوم مستقيم، سواء سُمّيت العلاقةُ معاملةً أو صداقةً ظاهرةً في إطار التعامل الاجتماعي، أمّا المودّة القلبية والصداقة التي تفضي إلى المشاركة في أعيادهم ومناسباتهم الدينية، فليست داخلةً في هذا الإذن، فلم يُنقل أنّ النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم شارك في حياته المكيّة أو المدنيّة في عيدٍ من أعياد الكفّار، ولا عُرف عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أنّهم شاركوا في شيءٍ من ذلك.

---

(1) [المائدة: 79].
(2) (سنن الترمذي: 35/5، (3058)).
(3) (صحيح مسلم: صـ 49، (49)).
(4) [المائدة: 80-81].
(5) [المجادلة: 22].
(6) [التوبة: 23].
(7) [الممتحنة: 8].

الشيخ طارق المحمد

مفهوم الكرامة
ورد للشبهات فيما يتعلق بها

كثر تساؤل الناس في هذا الزمان عن الكرامات؛ هل هي ثابتة في الشرع؟ هل لها دليل من الكتاب والسنة؟ ما هي الحكمة من إجرائها على يد الأولياء والمتقين؟...

وبما أن موجات الإلحاد والمادية، وتيارات التشكيك والتضليل قد كثرت في هذا الوقت، فأثرت في عقول كثير من أبنائنا، وأضلّت العديد من مثقفينا، وحملتهم على الوقوف من الكرامات موقف المنكر الجاحد، أو الشاكّ المتردِّد، أو المستغرب المتعجب نتيجة لضعف إيمانهم بالله وقدرته، وقلة تصديقهم بأوليائه وأحبابه، فلا يسعنا إلا أن نعالج هذا الموضوع إظهاراً للحق، ونصرة لشريعة الله تعالى يعرّف العلماء الكرامة بأنها: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح لحاجة دينية أو دنيوية غير مقرونة بدعوى النبوة.[1]

وهي فعل ناقض للعادة ومخالف لما اعتاده الناس، يظهَر على يد موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله أو شاهدًا على صدق النبي، حيث لم يعطَ الكرامة إلا باتباعه له والإيمان به، ولذلك لا تعارُض بين معجزة النبي وكرامة الولي، ولا بد أن تقع لديه في أيام التكليف، والولي: هو من والى الله بالموافقة له في محبوباته، وتقرب إليه بطاعاته، فكل من عظُم إيمانُه وطاعتُه عظُمت عند الله ولايته وخصوصيته.

وقد قام الدليل على جواز ووقوع الكرامة من الكتاب والسنة والإجماع:

فمن القرآن مثلاً: قصة السيدة مريم عليها السلام: في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾[2]، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء.

وكذلك قصة أصحاب الكهف وما جرى لهم من الآيات ببقائهم نياماً ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً من غير طعام ولا شراب.

وكذلك قصة آصف بن برْخيا وهو: "الذي عنده علم من الكتاب" الذي أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه، ولم يكن نبياً بإجماع أهل العلم.

ومن ذلك قصة أم سيدنا موسى عليه السلام وما ظهر لها من الخوارق حين أُلهِمَت إلقاء ولدها في اليمّ. وغير ذلك.

ومن السنة: حديث أسيد بن حضير وعباد بن بشر حين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نور كالمصباح في طرف عصا أحدهما، فلما تفرقا افترق النور معهما. رواه البخاري.

ومن ذلك قصة أسر خبيب بن عدي رضي الله عنه حيث قالت من كان أسيرا عندها وهي تخدمه:

(ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله إياه).[3]

ومنها أيضاً حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه حين كان يقرأ في الليل وجالت الفرس فإذا سكتَ سكنت وإذا قرأ جالت...فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم). رواه البخاري

ومنها: قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وانفراج الصخرة عنهم بعد أن سَدّتْ عليهم الباب. وهذا حديث متفق عليه.

ومن ذلك كرامات بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم:

قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه في شربه السم. أخرجه البيهقي وأبو نعيم والطبراني وابن سعد بإسناد صحيح نزل خالد بن الوليد الحيرة، فقالوا له: احذر السم لا تسقيكه الأعاجم فقال: ائتوني به، فأخذه بيده وقال: بسم الله وشربه، فلم يضره شيئاً.[4]

ومنها سماع بعض الصحابة سورة الملك، من قبر بعد أن ضرب خباءً فوقه. رواه الترمذي

وأما الإجماع فقد أجمع السلف والخلف على وقوع الكرامة الخارقة للعادة على يدي الولي الصالح المستقيم على الشريعة، وذكروا في ذلك حوادث كثيرة ذكرها العلماء في مؤلفات منها: صفة الصفوة لابن الجوزي وقد ترجمَ لكثير من السلف وذكر خوارق وكرامات لكثير منهم، وكذلك الإمام الذهبي رحمه الله تعالى حين ترجم للفقهاء والأولياء في كتابيْه السير ومعجم الشيوخ، وكتاب كرامات أولياء الله عز وجل للّالكائي، وحلية الأولياء للأصفهاني، الرسالة القشيرية للإمام القشيري، وطبقات الأولياء لابن الملقن، وجامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني وغير ذلك...

أنواع الخوارق:

لقد بيّن علماء العقيدة من أهل السنة والجماعة بأن الظواهر الخارقة للعادة بحسب سياقاتها المختلفة، مع اشتراكها جميعاً في واقع تكويني واحد وهو "خرق العادة"، إلا أنهم وضعوا لها عناوين متميزة لتمييز مراتب العباد إن صدرت عن أحد منهم، وأبرز هذه الأنواعَ خمسة أنواع للخوارق:

1 الكرامة:

وهي أمور خارقة للعادة يظهرها الله على يد بعض الأولياء من عباده أو الصالحين؛ تكريماً وتشريفاً لهم وبحسب ما عرفناها في أول المقال.

2 الإرهاص:

وهو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبيه أو يتعلق بنبيه قبل نبوته؛ تمهيداً وتهيئاً لقبول الناس له والإيمان به.

3 الإهانة:

وهو الأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله على يد مدّعي النبوة كذباً بهدف فضحه؛ لكونه يقع بشكل غير مطابق لدعواه، كقصة مسيلمة حين بصق في بئر بها ماء قليل فجفّت.

4 المعونة:

وهو أمر خارق للعادة يظهره الله لعوام المؤمنين ممن ليس فاسقاً ولا ولياً بهدف تبرئته من تهمة باطلة منسوبة إليه، وتسمى حينئذٍ علامة على صدقه وبراءة ساحته، أو على يد رجل مستور الحال إعانة له.

5 الاستدراج:

وهو أن يُجري الله الخارق للعادة على يد شخص غير صالح؛ استدراجاً له كي يزداد ضلالاً وانحرافاً، كيْ لا يُصنَف مع الصالحين فتُمنح له ذات المنزلة والمقام، وهذا النوع قد ينخدع به الناس كما ينخدعون بالدجّال الذي تظهر على يده خوارق فيفتتنون به.[5]



الحكمة من إِجراء الكرامات على يد الأولياء:

يقول سيدي الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى: اقتضت حكمة الله تعالى أن يكرم أحبابه وأولياءه بأنواع من خوارق العادات، تكريماً لهم على إِيمانهم وإِخلاصهم، وتأييداً لهم في جهادهم ونصرتهم لدين الله، وإِظهاراً لقدرة الله تعالى، ليزداد الذين آمنوا إِيماناً، وبياناً للناس أن القوانين الطبيعية والنواميس الكونية إِنما هي من صنع الله وتقديره، وأن الأسباب لا تؤثر بذاتها؛ بل الله تعالى يخلق النتائج عند الأسباب لا بها، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد يقول معترض: إِن تأييد الحق ونشر دين الله لا يكون بخوارق العادات، بل يكون بإِقامة الدليل المنطقي والبرهان العقلي فنقول:

نعم لابد من نشر تعاليم الإِسلام بتأييد العقل السليم والمنطق الصحيح والحجة الدامغة، ولكن التعصب والعناد يدعوان إِلى أن تخرق العادات بالكرامات كما اقتضت حكمة الله أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات إِظهاراً لصدقهم، وتأييداً لهم في دعوتهم، وحملاً للعقول المتحجرة والقلوب المقفلة أن تخرج من جمودها، وتتحرر من تعصبها، فتفكر تفكيراً سليماً مستقيماً يوصلها إِلى الإِيمان الراسخ، واليقين الجازم. ومن هنا يظهر أن الكرامة والمعجزة تلتقيان في بعض الحِكَم والمقاصد، إِلا أن الفارق بينهما أن المعجزة لا تكون إِلا للأنبياء عليهم السلام، والكرامة لا تكون إِلا للأولياء، وكلُّ كرامة لولي معجزةٌ لنبي.[6]

المعترضون على الكرامة والرد عليهم:

الكرامة ثابتة كما بينا ولم ينكرها إِلا أهل البدع والانحراف ممن ضعف إِيمانهم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله قال العلامة اليافعي رحمه الله تعالى: (والناس في إِنكار الكرامات مختلفون، فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقاً، وهؤلاء أهل مذهب معروف، عن التوفيق مصروف. ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه كمعروف الكرخي والإِمام الجنيد وسهل التستري وأشباههم رضي الله عنهم، فهؤلاء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: والله ما هي إِلا إِسرائيلية، صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم أدركوا زمنه. ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معيَّن من أهل زمانه).[7]

المعترضون: أطبقت طائفة المعتزلة على منع وقوع الكرامات لأحد، وتبعهم في ذلك بعض المتقدمين من الإِباضية والزيدية والخوارج.

وأبرز اعتراض لهم أنهم زعموا بأن إِثبات الكرامات يؤدي إِلى التباس الولي بالنبي، مما ينسدُّ معه باب إِثبات النبوة؛ لأن المعجزة هي دليل الصدق الوحيد، وهذا باطل لعدة أمور أهمّها:

1. أن الكرامة لا تقترن بدعوى النبوة، فلا يوجد ثمة التباس، وصرّح أهل السنة والجماعة بأن الرسول يدعي المعجزة ويُظهرها ويباهي بها قومه ويتحدى بها، بينما الولي لا يدّعي ذلك ولا يتحدّى به، بل إِن ادعاء الولي للكرامة أو الإِعجاب بها يُعد خطأً ومعصية في حقه، كما أن المعجزة تُساق لقصد التصديق، أما الكرامة فتكون إِكراماً من الله لوليّه ولا يقدَح هذا الإِكرام في قصد التصديق النبوي، ولذلك فإِن الولي إِذا ظهرت عليه الكرامة لا يتحدى بها ولا يظهرها للمباهاة، بل قد يراها ابتلاءً ويحرص عليه سترها وإِخفائها، بخلاف النبي المأمور بإِظهار المعجزة.

2. الولي لا يكون ولياً إِلا باتباعه للنبي، فكرامته هي في الحقيقة دليل على صدق نبيه وتأييد لشريعته، وقد أوضح العلماء أن الولي لم ينل الكرامة إِلا بمتابعته للنبي والإِيمان به؛ لذا فإِن كل كرامة تظهر على يد ولي هي في الحقيقة معجزة للنبي الذي يتبعه، فهي دليل على صدق أستاذه وصاحب شريعته، ولا يمكن أن تكون قادحة في المعجزة بل هي مؤيدة لها.

3. الواقع التاريخي يثبت جريان الكرامات في عهد الصحابة وبعدهم ولم يدّعِ أحد منهم النبوة أو يقع لبس عند الناس، وأن خوف الاشتباه الذي ادعته المعتزلة غير واقع؛ إِذ لم يحدث في عهد النبي ﷺ أو بعده أن التبس الأمر على الناس رغم جريان الكرامات على يد الصحابة، فإِذا ادعى صاحب الخارق النبوة كذباً، فإِن الله يفضحه (كالأمر الخارق المقصود به الإِهانة) أو يقطع الناس بكذبه، خاصة كما حصل لمسيلمة الكذاب وغيره، وأن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء، فكل مدعٍ بعده هو كذابٌ ضالٌ تسقط ولايته فكيف تصح كرامته!

4. أن غرض ظهور الكرامة التي تحصل للأولياء إِما لقضاء حاجة دينية (كتثبيتٍ على طاعة) أو حاجة دنيوية (كإِضاءة الطريق أو توفير طعام عند فاقة)، وليس الغرض منها إِثبات مقام تشريعي جديد ينافس مقام النبوة، كما أن صاحب الكرامة يزداد خوفاً وحذراً من الله عند ظهورها خشية الاستدراج، بينما مدعي النبوة الكاذب يزداد تكبراً وأمناً من مكر الله.

ما هو الموقف الصحيح من الأمر الخارق للعادة:

هذا إشكال قد يرد على البعض ولذلك فرّق العلماء بين الكرامة الحقيقية وبين الاستدراج الذي قد يظهر على يد المبْطلين أو الفاسقين من خلال عدة معايير جوهرية تتعلق بحال الشخص، وبنيته النفسية، ومدى التزامه بالشرع الشريف ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم وبناء على التفريق الذي ذكره العلماء وأهل التحقيق نخلُص إلى التفريق التالي:

أولاً: الحالة النفسية والسلوكية:

صاحب الكرامة: لا يستأنس بالكرامة ولا يطمئن إليها، بل يزداد خوفاً من الله وحذراً من قهره عند ظهورها، ويخشى دائماً أن تكون فتنة أو ابتلاءً، وصاحب الكرامة عند ظهور الكرامة لا يرى أنه أخذ حصانة أبدية للولي، بل هو لا يقرّ بولاية نفسه أصلاً، ويعلم أن بقاء الولاية مشروط بدوام الاستقامة والتواضع والاتباع، وبمجرد انحراف الولي عن جادة الشرع أو شعوره بالأمن من استدراج الله له، فإنه يخاطر بفقدان هذا المقام.

والأصل أن الولي لا يقطع بكرامته ولا يدعيها يقيناً كيقين الأنبياء، بل يرى في نفسه التقصير ويحذر من أن يكون ما يظهر عليه استدراجاً أو مكراً.

وصاحب الاستدراج: يستأنس بما يظهر على يده، ويظن أنه استحق ذلك لمنزلته، فيورثه ذلك تكبراً على الخلق واحتقاراً لهم، ويشعر بالأمن من استدراج الله له وعقابه ولا يخاف سُوْء العاقبة، ويرى المحققون من أهل الله أن ظهور هذه الأحوال (الكبر والأمن من العقاب) على شخص تظهر عليه الخوارق هو دليل قطعي على أنها استدراج وليست كرامة، وأنها علامة على الانقطاع عن حضرة الله تعالى وخاصة إذا كان ممن يقوم بتخويفهم من الأمر الخارق على يده.

ثانياً: الاستقامة على الشريعة:

الولي الصادق: هو الشخص المستقيم على هدي النبوة ونور الوحي، الحريص على أركان الدين من صلاة وصيام وحج، المواظب على الطاعات، المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[8]. وهو صاحب عقيدة صحيحة، وهكذا فإن الكرامة لا تظهر إلا على صادق في أحواله متبع لنبيه. وأما ما يجري على يد الزنادقة والفسقة من الخوارق كطعن الجسم بالسيف وأكل النار والزجاج وغير ذلك، فهو من قبيل الاستدراج، ولذلك فإن الصوفية يمنعون إِظهار الكرامة إلا لغرض صحيح؛ كنصرة شريعة الله أمام الكافرين والمعاندين،[9]

المبطل أو (صاحب الاستدراج): تظهر الخوارق على يده رغم كونه أبعد الناس عن الاستقامة، وقد يرتكب المنكرات الظاهرة والمعاصي الجلية، أو يستعين بالجن والشياطين في أعماله كما هو حال السحرة والمشعوذين.

ثالثاً: الغرض من الأمر الخارق للعادة:

الكرامة: تقع للعبد الصالح لحاجة دينية (كتثبيته على الطاعة) أو حاجة دنيوية مشروعة، وتكون دليلاً على صدقه في ولايته وتصديقاً لحاله، وعند أهل الله لا يعدّون ظهور الكرامات على يد الولي الصالح دليلاً على أفضليته على غيره، بل قد يكون بعض مَنْ ليس له كرامة منهم أفضل من بعض مَنْ له كرامة، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها، ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته، وإِنما الأفضلية تكون بقوة اليقين، وكمال المعرفة بالله تعالى.[10]

الاستدراج: يجري الله الخارق على يد غير الصالح ليزداد ضلالاً وانحرافاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[11]، فهو فعل يهدف لفتنتهم وإضلالهم.

وبناء على ما سبق من الحالة النفسية والاستقامة والغرض من الأمر الخارق يتبين لنا ميزان القبول والرد:

وضع العلماء قاعدة ذهبية للتمييز في الأمر الخارق كي لا يلتبس الحق بالباطل، وهي عرض أمر الشخص على الكتاب والسنة؛ فإذا رأيت رجلاً يمشي على الماء أو يطير في الهواء وهو غير منضبط لقواعد الشرع، فهذا دليل على أن ما يجري له هو استدراج أو "كرامة شيطانية" وليس كرامة حقيقية فالكرامة في تعريفها تشترط صدورها من "ولي صالح مستقيم على الشريعة متبع للسنة الشريفة"

ونقول باختصار أن المعجزة والكرامة تلتقيان في أنهما أمر "خارق للعادة" من الله، وتفترقان في أن المعجزة تقترن بـ "دعوى النبوة والتحدي"، بينما الكرامة "إكرام من الله للولي" وشهادة بصدق نبيه.

شبهات حول الكرامة:

1 شبهة الاستدراج:

قد يظهر الخارق على يد غير الصالح استدراجاً، والفرق أن صاحب الكرامة يزداد خوفاً وحذراً من الله، بينما صاحب الاستدراج يزداد تكبراً وأمناً من مكر الله.

2 شبهة السحر والشعوذة:

قد يجري على يد السحرة ما يشبه الخوارق، لكن شتان بين الولي المستقيم على الشرع وبين الساحر البعيد عن هدي النبوة المستعين بالشياطين.

3 شبهة "تحول الخارق إلى أمر عادي":

زعم البعض أن كثرة الكرامات تُبطل خاصية خرق العادة، وجوابه: بأن وقوعها نادر ومرتبط بمشيئة الله وحكمة التكريم، ولا تصل لحد العادة المستمرة.

4 وأما شبهة التقليل من شأن الأنبياء:

فجوابه أن الكرامة فرع عن المعجزة، وكل كرامة لولي هي قطرة من بحر معجزات الأنبياء.

5 قلة الكرامات لدى الصحابة مقارنة بمن جاء بعدهم وجوابه بأن: إيمان الصحابة كان في غاية القوة والرسوخ فلم يكونوا بحاجة إلى خوارق لتقويته، بينما احتاج من جاء بعدهم إلى تلك الكرامات لزيادة اليقين وتثبيت القلوب.

6 بعض المنحرفين عن الصوفية يدّعي أن مقصد الصوفية من سيرهم هو الوصول إلى الكرامات قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله تعالى: (من لم يكن كارهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب، وسترها عليه رحمة، فإنّ من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له، بل تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك، فإذا فَنِيَ عن إراداته جملةً فكان له تحقق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة، حصلت له أهلية ورود الألطاف، والتحقق بمراتب الصديقين) [12]

وهؤلاء المعترضون يُترجمون عما في نفوسهم من أمراض خبيثة وعلل دفينة؛ وهم يعلمون بأن الصوفية يهتمون بتزكية النفس وتخليصها من صفاتها المذمومة كالرياء والنفاق، وتحليتها بالصفات العالية، ليكون سيره بعيداً عن العلل والغايات، لا يبتغي به إلا وجه الله تعالى ورضاه ويستترون من الكرامة بعدًا عن شبهة الرياء.

- ثم إن الصوفية يعتبرون أن أعظم الكرامات هي الاستقامة على شرع الله تعالى، قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: اعلم أن من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والمخالفات.[13]
- وذُكِر عند سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى الكرامات فقال: (وما الآياتُ وما الكراماتُ! أشياء تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أنْ تُبدّلَ خُلُقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخُلق محمود)[14]
- وقال سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: (الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة، والوصول إلى كمالها. ومرجعها أمران: صحة الإيمان بالله عز وجل، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً؛ فالواجب على العبد ألّا يحرص إلاّ عليهما ولا تكون له همة إلا في الوصول إليهما.

وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين، إذ قد يُرْزَقُ بها من لم تكتمل استقامته، وقد يُرْزَق بها المستدرَجون).

- وقال: (إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان؛ كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مُفْتَرٍ كذاب، ليس ذا حظ في العلم والعمل بالصواب؛ كمن أُكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا).[15]
- وقال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: (لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا، لم يقدح عدمها في كونه ولياً) وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه لرسالة القشيري عند هذا الكلام: (بل قد يكون أفضل ممَنْ ظهر له كرامات، لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة) [16]
- ومن هذا القبيل نذكر ما قاله الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: (إنّ من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقاً لكرامة بسبب عمله، حصل لعمله وقع عظيم في قلبه، ومَنْ كان لعمله وقع عنده كان جاهلاً، ولو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير، وكل شكرهم في جنب آلائه ونعمائه قصور، وكلّ معارفهم وعلومهم في مقابلة عزته حيرةٌ وجهلٌ، رأيت في بعض الكتب أنه قرأ المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق قوله تعالى: ﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيّبُ والعَمَلُ الصالحُ يرفَعُهُ﴾ [17]. فقال: علامةُ أن الحق رفع عملك ألّا يَبْقى عندك [أي عملك] فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع، وإن لم يبق معك فهو مرفوع)[18]

أخيراً:

إن كرامات الأولياء حق ثابت بالسمع والعقل، وهي منحة إلهية تزيد المؤمن يقيناً وتثبيتاً، شريطة أن تُعرض أحوال صاحبها على الكتاب والسنة؛ فالمعيار الحقيقي هو الاستقامة لا مجرد خرق العادة. وهي ثمرة الإيمان والتقوى، فإذا فُقد أحدهما أو كلاهما، فإن ما نراه ليس كرامة، بل هو سحر أو شعوذة أو استدراج، مهما بلغت درجة غرابة الحدَث.

بعض المصادر: الرسالة القشيرية، حقائق عن التصوف، كتاب التقريب والإرشاد الصغير للباقلاني، الإرشاد للجويني، بستان العارفين للنووي رحمه الله تعالى، مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، لابن فورك، مقالات الإسلاميّين، شرح العقائد النّسَفيّة، تفسير روح المعاني.

(1) (المنح المكية: صـ 671، مختصرًا، دار المنهاج). (2) [آل عمران: 37]. (3) (صحيح البخارى: 3045). (4) (يُنظر تهذيب التهذيب لابن حجر: 125/3). (5) (ملخصاً بتصرف يُنظر (دليل الفالحين: 4\30) و(النبراس، أقسام الخوارق: ص272)). (6) (حقائق عن التصوف 285/1). (7) (روض الرياحين، للإمام اليافعي صـ 42). (8) [يونس: 62ـ63]. (9) (حقائق عن التصوف286/1 وما بعدها). (10) (حقائق عن التصوف 1\293-292). (11) [القلم: 44]. (12) (نور التحقيق لحامد صقر ص127).(13) ("الرسالة القشيرية" ص160). (14) ("كتاب اللمع للطوسي ص400"). (15) (نور التحقيق ص128). (16) (الرسالة القشيرية ص159). (17) [فاطر: 10]. (18) (تفسير الرازي ج5. ص692).



عناية الإسلام بحماية النفس الإنسانية

محمد إلياس السكندري
كاتب في إدارة الشؤون العربية

حظيتِ النفسُ الإنسانيةُ في الإسلام بعنايةٍ عظيمة؛ إذ جاءت الشريعةُ بحفظها وصيانتها، وجعلت ذلك من أعظم مقاصدها الكلية. وقد دلّ على هذه المنزلة قولُ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1]

فكان هذا التكريمُ الإلهي أساسًا لما تقرّر للإنسان من حقوقٍ مصونة، وفي مقدمتها حقُّ الحياة.

ولم يقتصر الأمر على بيان الكرامة، بل شدّد القرآن الكريم على حرمة الاعتداء على النفس، فقال سبحانه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]، كما نهى عن إزهاق الأرواح بغير حق بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[3]

وجاءت السنة النبوية مؤكِّدةً هذا المعنى؛ فقال النبي ﷺ:

«لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[4].

وقال أيضاً ﷺ في خطبة الوداع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» فأعادها مرارًا. [5]

ومن هنا كان حفظُ النفس إحدى الضرورات الخمس التي اتفقت الشرائع على رعايتها، وقد بيّن الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي رحمه الله تعالى هذا المعنى بقوله:

«فَقَدِ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ -بَلْ سَائِرُ الْمِلَلِ- عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ وُضِعَتْ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ -وَهِيَ: الدِّينُ، وَالنَّفْسُ، وَالنَّسْلُ، وَالْمَالُ، وَالْعَقْلُ- وَعِلْمُهَا عِنْدَ الْأُمَّةِ كَالضَّرُورِيِّ».[6]

وانطلاقًا من هذا الأصل العظيم شرع الإسلام من الأحكام والتدابير ما يكفل حماية الإنسان من كل ما يهدد حياته؛ فجمع في ذلك بين التحريم الرادع لكل اعتداء، والوقاية المانعة من أسبابه، ليبقى الإنسان مصونَ الدم، محفوظَ الكرامة.

وتتأكد الحاجة إلى إبراز هذه العناية في زمنٍ تتكاثر فيه صور العنف، وتضعف فيه هيبةُ النفس البشرية؛ الأمر الذي يستدعي بيان المنهج الإسلامي في صيانة الحياة، وإظهار ما يتميّز به من شمولٍ وتوازنٍ دقيق، يجمع بين حفظ الفرد وترسيخ استقرار المجتمع.

مكانة النفس الإنسانية في الإسلام:

انطلاقا من التكريم الإلهي للإنسان، وما تقرر في الشريعة من حرمة دمه وصيانة حياته، احتلت النفس الإنسانية منزلة رفيعة في التصور الإسلامي، إذ لم ينظر إليها بوصفها مجرد وجود مادي، بل باعتبارها مخلوقا مكرما جعله الله محل الاستخلاف في الأرض.

وقد أكد القرآن الكريم هذه المكانة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾.[7]

فجاء التعبير بـ التي حرم الله دالا على أن الأصل في الدماء العصمة والمنع، فلا يستباح منها شيء إلا بمسوغ شرعي معتبر، كما قال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[8]

وهذا توضيح صريح لشدة الجريمة وخطرها على استقرار المجتمع

وجاءت السنة النبوية مبينة خطورة الاعتداء على النفس؛ فقال النبي ﷺ: " أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يوم القيامة، في الدماء "[9]

وفي ذلك إشارة إلى عِظم هذا الحق وتقدمه على غيره. كما قرر ﷺ مبدأ شمول الحرمة في قوله: " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ "[10]

ثم أرسى قاعدة المساواة الإنسانية التي تغلق أبواب التمييز المؤدي إلى الظلم والاعتداء، فقال ﷺ:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى"[11]

وتكشف هذه النصوص مجتمعة أن حفظ النفس ليس حكما جزئيا، بل أصل كلي قامت عليه تشريعات متعددة، مما مهد لظهور منظومة متكاملة من الأحكام التي تهدف إلى حماية الحياة الإنسانية وترسيخ الأمن؛ في المجتمع الإسلامي.

مظاهر عناية الإسلام بحماية النفس الإنسانية:

إذا كانت النصوص الشرعية قد قررت المنزلة العظيمة للنفس الإنسانية، فإن التشريع الإسلامي لم يقف عند حد التأصيل النظري، بل تجلت هذه العناية في جملة من الأحكام العملية التي تهدف إلى صيانة الحياة ومنع الاعتداء عليها.

ومن أبرز هذه المظاهر تحريم القتل بجميع صوره، والتشديد في الوعيد عليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[12]، وهو وعيد يبرز تأثير هذا الفعل السلبي على حياة الفرد وأمن المجتمع واستقراره كما شرع الإسلام القصاص حماية للأنفس وردعا للمعتدين، قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[13]، إذ يسهم تطبيقه في الحد من الجريمة، وبث الطمأنينة، وصيانة أمن المجتمع.

ولم تقتصر الحماية على منع اعتداء الآخرين، بل شملت حماية الإنسان من نفسه؛ فحرم الإسلام الانتحار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [14]

وقال النبي ﷺ: وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [15]

وفي صحيح مسلم: مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا [16]

وفي ذلك تأكيد أن حياة الإنسان ليست ملكًا مطلقًا له، بل هي أمانة يجب حفظها ورعايتها، إذ يُحاسب على كل ما يضر بها أو يهدرها.



ومن مظاهر هذه العناية كذلك اعتماد مبدأ الوقاية قبل وقوع الخطر؛ فحرم الإسلام كل ما يضر بالعقل والبدن، كالمسكرات والمخدرات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [17].

وفي المقابل، أباح المحظورات عند الضرورة حفظًا للحياة، قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[18]، وهذا يوضح أن الإسلام لا يضع القوانين على نحو جامد، بل يوازن بين التحريم والحاجة، ويحرص على بقاء الإنسان على قيد الحياة حتى في الظروف الاستثنائية

وتبرز من خلال هذه الأحكام شمولية المنهج الإسلامي في حماية النفس؛ إذ جمع بين الردع والتشريع الوقائي، تمهيدا لبناء مجتمع تسوده الطمأنينة، ولعل هذا يقود إلى بيان الوسائل التي اعتمدها الإسلام لترسيخ هذه الحماية على مستوى الواقع.

وسائل الإسلام في صيانة النفس الإنسانية:

لم تقتصر عناية الإسلام على حماية النفس بسن العقوبات أو تقرير المحرمات، بل أقام منظومة متكاملة من الوسائل التي تضمن حفظ الحياة وترسخ مقومات الأمن والاستقرار في المجتمع.

ومن أهم هذه الوسائل إقامة العدل ومنع الظلم؛ إذ بالعدل تصان الحقوق وتُحقن الدماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[19]. فالظلم من أعظم أسباب الفوضى وإزهاق الأرواح، بينما يحقق العدل الطمأنينة ويمنع دوافع العدوان.

كما شرع الإسلام مبدأ التكافل الاجتماعي؛ حماية للإنسان من الهلاك بسبب الفقر أو الحاجة، فجعل الزكاة حقا معلوما، وحث على الصدقات والإحسان، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[20]، وهو يشمل كل سعي في إنقاذ النفس وحفظها، ماديا كان أو معنويا.

ومن الوسائل كذلك العناية بصحة الإنسان؛ فقد أرشدت الشريعة إلى ما يحفظ البدن، ونهت عن كل ما يوقعه في الضرر، وأرست قاعدة جامعة في قول النبي ﷺ: لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ [21]

فحماية النفس لا تتحقق بعد وقوع الخطر فحسب، بل تقوم على منعه ابتداء.

كذلك عمل الإسلام على تنظيم العلاقات الإنسانية، ونبذ أسباب النزاع والعنف، والدعوة إلى الإصلاح عند وقوع الخصومات؛ قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾[22] لما في الصلح من حقن للدماء وإغلاق لباب الفتن.

وتدل هذه الوسائل مجتمعة على أن حفظ النفس في الإسلام مسؤولية مشتركة، تتكامل فيها التشريعات مع القيم الأخلاقية؛ بما يهيئ مجتمعا آمنا تصان فيه الحياة، وبعد بيان هذه الأسس، يبرز جانب آخر من عناية الإسلام، يتمثل في حماية النفس حتى في أوقات الصراع.

حماية النفس الإنسانية في أوقات الحرب:

تتجلى عظمة التشريع الإسلامي في عنايته بحماية النفس حتى في أشد الظروف، وهي أوقات الحروب؛ إذ لم يبح القتال إلا لدفع العدوان، مع الالتزام بجملة من الضوابط الأخلاقية التي تحد من إزهاق الأرواح. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾[23]

وقد نهى النبي ﷺ عن قتل غير المقاتلين؛ فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قَالَ: «عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ لَا نَقْتُلَ صَبِيًّا وَلَا امْرَأَةً[24]

كما نهى عن الغدر والتمثيل، وأمر بالإحسان حتى في ميدان القتال ففي رواية: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللّهَ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللّهَ، فِي سَبِيلِ اللّهَ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا....إلخ [25]

وهذا يدل على أن الأصل هو صيانة الحياة، وأن القتال ضرورة تقدر بقدرها، لا وسيلة للفوضى وسفك الدماء.

آثار حفظ النفس على الفرد والمجتمع:

إن الالتزام بحماية النفس يثمر مجتمعا يسوده الأمن والاطمئنان، ويشعر أفراده بقيمة حياتهم وكرامتهم، مما يعزز روح التراحم والتعاون بينهم، كما أن صيانة الأرواح تمكن الإنسان من أداء رسالته في عمارة الأرض وتحقيق مقاصد الاستخلاف.

ومن ثم، فإن حفظ النفس ليس مصلحة فردية فحسب، بل هو ركيزة لاستقرار المجتمعات وتقدمها، ودليل على سمو التشريع الإسلامي وشموله.

ختامًا!

يتبين لنا مما سبق أن عناية الإسلام بحماية النفس الإنسانية عناية شاملة، قامت على تكريم الإنسان، وتأكيد حرمة دمه، وسن التشريعات التي تمنع الاعتداء عليه، مع إرساء وسائل عملية تحفظ حياته في السلم والحرب.

وبذلك قرر الإسلام مبدأ صيانة الحياة البشرية قبل أن تعرفه كثير من الأنظمة المعاصرة، مقدما نموذجا متوازنا يجمع بين العدل والرحمة.

وإن استحضار هذه المبادئ، والعمل بها، كفيل بإشاعة الأمن، وترسيخ الاستقرار، وبناء مجتمع تُحترم فيه كرامة الإنسان وتصان نفسه، وهو ما يؤكد صلاحية هذا المنهج لكل زمان ومكان.

---

(1) [الإسراء: 70]. (2) [المائدة: 32]. (3) [الأنعام: 151]. (4) (سنن الترمذي: 1395). (5) (صحيح البخاري: 1652). (6) (الموافقات للشاطبي: 31/1). (7) [الأنعام: 151]. (8) [المائدة: 32].(9) (صحيح مسلم: 1678). (10) (صحيح مسلم: 2564). (11) (مسند الإمام أحمد: 23489). (12) [النساء:93]. (13) [البقرة:179]. (14) [النساء:49]. (15) (صحيح البخاري: 5700). (16) (صحيح مسلم: 109). (17) [البقرة: 195]. (18) [البقرة: 173]. (19) [النحل: 90]. (20) [المائدة: 32].(21) (سنن أبي داود: 2341). (22) [الحجرات: 9]. (23) [البقرة:90]. (24) (المعجم الكبير للطبراني: 197).(25) (صحيح مسلم: 1731).

فضيلة الشيخ محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى
شيخ الطريقة العطارية القادرية ومؤسِّس مركز الدعوة الإسلامية

المذاكرة المدنية

حكم البيع بأسعار مختلفة:

السؤال: هل يجوز للبائع أن يبيع سلعته بأسعار مختلفة للغني والفقير؟

الإجابة: نعم! يجوز للبائع أن يبيع سلعته بأسعار مختلفة للغني والفقير، بشرط أن يكون التعامل مبنيًا على الصدق والأمانة، بعيدًا عن الغش والكذب.[1]

حكم الدعاء بهلاك الشيطان:

السؤال: هل يجوز للإنسان أن يدعو بموت الشيطان وهلاكه؟

الإجابة: إن للشيطان أيضًا أجلًا، ولكنه ليس ممكنًا بدعائنا عليه، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2] وقد أمهله الله تعالى إلى يوم القيامة، فإذا نُفخ في الصور كان هلاك هذا اللعين، فيلقى حتفه. وقد يطلق لفظ الشيطان على عامة الجن أيضًا، ولا حياة لهم للأبد بل هم يموتون كسائر الخلق.[3]

التخلُص من الأفكار التافهة:

السؤال: كيف أتخلص من الأفكار التافهة غير النافعة؟ أريد منكم حلًا سهلًا لذلك.

الإجابة: ينبغي للمرء أن يُشغلَ ذهنه وعقله بالأفكار الإيجابية والنافعة بدلا من الأفكار السلبية غير النافعة، إذا تمكنت من غرس الأفكار النافعة في ذهنك وقلبك، فلن تجد الأفكار التافهة مكانًا لها بإذن الله تعالى.

على سبيل المثال: بدل أن تفكر بالسياحة والترفيه إلى الأماكن الجميلة في الدنيا أعرض خاطرك إلى السير والرحيل إلى المدينة المنورة، وإلى أحيائها المباركة، هكذا تحولت أفكارك إلى أفكار مقدسة وتصورات مباركة. وكذلك إذا كانت هموم الدنيا تضيق عليك، حوّلها لهموم الآخرة. ينبغي أن تتوجّهَ الأفكارُ إلى ما يُحقّقُ لصاحبها الفوزَ في الآخرة، ويكون سبباً لحصول الأجر والثواب، ووسيلة لإصلاح الظاهر والباطن.[4]

التوبة في اللحظات الأخيرة:

السؤال: إذا تاب الإنسان في اللحظات الأخيرة فهل تقبل توبته؟

الإجابة: إذا كان المراد باللحظات الأخيرة بأن يكون الإنسان على وشك الشنق ويتوب فتوبته مقبولة قطعاً في تلك اللحظة، سواء تاب من المعاصي أو من الكفر.

وإذا كان المراد بها وقت النزع ووقت حضور الملائكة فإن التوبة من المعاصي مقبولة، أما التوبة من الكفر فلا تقبل حينها، فإذا آمن أحدهم في هذه الحالة فلا يقبل إيمانه؛ فالإيمان هو عبارة عن الإيمان بالله بالغيب.

على كل حال تقبل توبة المؤمن الصادق دائما حتى وإن كانت روحه قد بلغت الحلقوم، إلا أنه هل يكون في وعيه في تلك اللحظات الأخيرة أم لا؟ الله أعلم.[5]

---

(1) (المذاكرة المدنية، 2 صفر 1442هـ). (2) [ص: 79].(3) (المذاكرة المدنية، 1 ذي الحجة 1441هـ). (4) (المذاكرة المدنية، 16 ذي الحجة 1445هـ). (5) (مرآة المراجيح 365/3، مقتبسًا، والمذاكرة المدنية، 26 محرم الحرام 1449هـ).

الشيخ محمّد عمران العطاري
رئيس مجلس الشورى لمركز الدعوة الإسلاميّة

فضائل وآداب في الأضحية



تُعدُّ الأضحية شعيرة عظيمة وعبادة شرعية، حيث يبذل المسلمون فيها أموالهم بقدر استطاعتهم إحياءً لسُنّة الخليل إبراهيم عليه السلام، لذا ينبغي أنْ يكون المقصد الأسمى مِن الأضحية هو نيل رضا الخالق سبحانه وتعالى، وتحقيق التقوى والإخلاص، بدلًا مِن رضا الله، وفي هذا الصدد ألقى الشيخ محمّد عمران العطّاري (رئيس مجلس الشورى لمركز الدعوة الإسلاميّة) محاضرةً تضمّنت توجيهات ونصائح قيّمةً حول الأضحية، نوجز أهمّ نقاطها فيما يلي:

1 ورد في الحديث الشريف: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا»[1].

- يقول الشّيخ المحدِّث الشيخ عبد الحقّ الدهلويّ رحمه الله تعالى: إنّ الأضحية تُوضع في ميزان حسنات صاحبها، فتثقل كفّة أعماله الصالحة[2].
- قال العلّامة الملّا علي القاري رحمه الله تعالى: يصير مركبه على الصراط، أي: تكون الأضحية لصاحبها مركبًا يعبر به الصراط بسهولة، ويكون كلّ عضوٍ منها فداءً لكلّ عضوٍ من أعضائه مِن النار[3].

2 ينبغي أن تُؤدّى الأضحية بطيب نفسٍ، ابتغاءَ رضى الله سبحانه وتعالى وحده، فإنّ دعاء الأضحية يشتمل على الآيتين المباركتين من القرآن الكريم:

1 ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾[4].

2 ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾[5].

فهاتان الآيتان تحملان درسًا بليغًا في الإخلاص والتوجّه الكامل لله وحده في العبادة، فإذا استحضر المسلم هذا المعنى عند أداء الأضحية، تضاعف أثرها في قلبه، واستشعر حلاوة الطاعة ولذّتها.

3 يتأكد الإخلاص عند شراء الأضحية، ولا سيما إن كانت غالية الثمن؛ لأن هذا العمل عبادةٌ وقربة، فإذا خالطه الرياء أفسد ثوابه وأذهب أجره.

4 والأضحية عبادة، والشيطان حريص على إحباط العبادات وإفساد الأعمال الصالحة بالرياء؛ فيسعى إلى تحويل الطاعة إلى إثم ووزر، مع أنّ العبد إنما قصد بها وجه الله تعالى ليُثاب عليها.

5 يجب أنْ تكون الأضحية مِن مالٍ طيّبٍ حلال، مقرونةً بإخلاص النيّة لله سبحانه وتعالى.

6 إذا اشترى المضحّي أغلى الأضاحي وأجملها في السوق، فليفتّش في نيّته: هل يبتغي بذلك رضى الله سبحانه وتعالى، أم يطلب الشهرة وحبّ الجاه وثناء الناس؟!

7 مَن اعتاد شراء الأضحية الغالية ثمّ ضاقت به الأحوال، فليُضحِّ بما يناسب قدرته أداءً للواجب، أمّا مَن يخشى كلام الناس عند شرائه لأضحية أقل ثمنًا، فعليه أنْ يراجع نيته ليدرِك لمن كان يضحّي في الأعوام الماضية؟!.

8 إذا رأينا مَن اشترى أضحية ثمينة يزدحم الناس لرؤيتها تعجّباً بها وبصاحبها، فلا يجوز أن نظنّ به السوء أو نتّهمه بالرياء؛ فإن إطلاق مثل هذه الأحكام من سوء الظن، وهو إثم عظيم..

9 إذا رأينا أضحيةً طيبةً لغيرنا، فالأولى أن ندعو له بخير، فنقول: ما شاء الله، ما أجمل هذا الحيوان، تقبّل الله منك أضحيتك.

10 الذي يشتري أضحيةً غالية تفوق قدرته، ويقصد بذلك كثرة الإنفاق في سبيل الله، فاتهام الناس له بالرياء مسلكٌ مذموم؛ فلعلّ الله يبارك له في نفقته، ويرفع بها درجته، ويجعلها سببًا لفوزه في الآخرة.

11


ملاحظة! لا تجزئ الأضحية بالجذع مِن الضأن الذي أتمّ ستّة أشهر على الإطلاق؛ بل يشترط فيه أنْ يكون سمينًا وجسيمًا، بحيث إذا رُئي مِن بعيدٍ بَدَا وكأنّه ابن سنة، فإذا كان عمره ستة أشهر، بل ولو كان ينقصه يوم واحد فقط عن السنة، أو لم يكن يبدو للناظر مِن بعيد كأنه ابن سنة، فلا تصحّ الأضحية به.

12 هناك أحكام عديدة مختلفة تتعلّق بما يحلّ أكله مِن أعضاء الحيوان وما يحرم أو يكره (تنزيهيًا أو تحريميًا)؛ لذا يرجى الرجوع إلى "دار إفتاء أهل السنة" للحصول على التوجيه الشرعي.

13 عند ذبح الأضحية يناجي ربّه: اللّهمّ كما ضحّيتُ اليوم بهذا الحيوان امتثالًا لأمرك، فإنّي مستعدّ للتضحية بنفسي في سبيل دينك إذا اقتضى ذلك إن شاء الله تعالى.

(1) ("سنن الترمذي"، 162/3، (1498). (2) ("أشعة اللمعات"، 654/1، تعريبًا من الفارسية). (3) ("مرقاة المفاتيح"، 654/3، (1470)، و"مرآة المناجيح"، 2/ 375، تعريبًا من الأردية). (4) [الأنعام: 79]. (5) [الأنعام: 162-163]. (6) ("الدر المحتار مع رد المحتار"، 533/9، مقتبسًا).



محمد رضا القريشي
كاتب في إدارة الشؤون العربية

دور المسلمين في التقدم العلمي

اختراعات واكتشافات غيّرت مسار التاريخ

منذ العصور القديمة، ساهم العالم الإسلاميّ في عدد كبير من الاختراعات التي كان لها تأثير كبير على المجتمع، والتي بات بعضها من الأمور الأساسية والبديهية في حياة الناس.

وتمّ اكتشاف هذه الاختراعات خلال العصر الذهبيّ الإسلاميّ، الذي حفّز التطوّرات الطبّية والفلسفية والعلميّة وغيرها من العلوم الطبيعية والاجتماعية، وقد انتشرت هذه الاختراعات في وقت لاحق إلى بقية دول العالم، علمًا أن أثرها لا يزال ظاهرًا في معالم الحياة الاجتماعية حتّى يومنا هذا.

1 أقدم جامعة في تاريخ العالم (University):

هي "جامعة القرويين "في مدينة فاس بالْمغرب، والتي أسّستها السيّدة فاطمة أم البنين الفهريّة رحمها الله سنة 245 هـ.[1] وتُصنف موسوعة غينيس للأرقام القياسية واليونسكو جامعة القرويين كأقدم مؤسّسة تعليميّة عُليا لا تزال تعمل في العالم دون انقطاع.

2 نظام المِنحة الدراسية (Scholarship):

"المدرسة النظامية" التي أسّسها الوزير نظام الْملك سنة 459 هـ في بغداد من أوائل الْمؤسّسات التي قدّمت منحاً دراسية ورعاية مالية للطلّاب الْمسلمين[2]، وتُعدّ "الْمدرسة المستنصرية" التي أنشأها الخليفة العباسي الْمستنصر بالله سنة 625هـ ببغداد، من أوائل الجامعات في العالم الإسلامي التي طبّقت نظام الْمنح والرواتب للطلّاب والْمدرّسين.

يقول الإمام الذهبيّ رحمه الله: ولا أعلمُ وقْفًا في الدّنيا يقاربُ وقفها أصلا سوى أوقاف جامع دمشق، وقد يكون وقفُها أوسع.[3]

3 مُستشفى متكامل في العالم (Hospital):

أول من بنى مستشفى "البيمارستان" في الإسلام، الوليد بن عبد الملك الأموي 86 هـ[4].

ووضع نظاماً خاصّاً للرعاية الصّحية والاجتماعية، بينما بيمارستان أحمد بن طولون الْمعروف بـ "البيمارستان العتيق" هو أول مستشفى متكامل ومجاني أُنشئ في مصر سنة 259هـ بمدينة القطائع.[5]

4 تأسيس أوّل مدرسة متخصّصة للصَّيدلة (Pharmacy):

تُعتبر "الْمدرسة الدَّخوارية" في دمشق، أنشأها الطبيب الأستاذ مُهذّب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد الْمعروف بالدَّخوار سنة 621 هـ من أوائل وأشهر الْمدارس الْمتخصّصة في تدريس الطب والصّيدلة في تاريخ الحضارة الإسلامية.[6]

5 إنشاء المرصد الفلكي (Observatory):

"مرصَد الشّماسيّة" أو "الْمرصد الْمأموني" هو أول مرصد إسلامي أنشأه الخليفة العباسي الْمأمون في بغداد سنة 214 هـ بل ويعتبره العديد من الْمؤرخين من أوائل الْمراصد الفلكية الْمنظمة في تاريخ البشرية[7].

6 اختراع البوصلة المغناطيسية (Magnetic Compass):

أوّل من اخترع "البَوصلة الْمغناطيسيّة" هم البحارة العرب المسلمين [8]، ويعدّ السلطان الرسولي في اليمن، الأشرف عمر بن يوسف، أوّل من وثّق استخدام "البوصلة الْمغناطيسية" لتحديد اتجاه القبلة كما في مؤلفاته العلمية.

7 تطوير البَوصلة البحرية (Maritime Compass):

تُذكر الْمصادر التّاريخية أنّ أوّل من علّق "الإبرة الْمغناطيسيّة في البوصلة" هو ابن ماجد من خلال ما ذكره في "كتاب الفوائد" الذي كتبه سنة 880 للهجرة حيث قال "ومن اختراعنا في علم البحر تركيب المغناطيس على الحقّة ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع في أيِّ كتاب"[9]

8 اختراع ذِراع التَّدوير (Crank Mechanism):

يُعدّ الْمُهندِس بديع الزمان ابن الرزاز الجزري (ت 602 هـ) أوّل من اخترع واستخدم نظام ذراع التدوير في آلات رفع الْماء، وهو ابتكار ميكانيكي مهمّ يحوّل الحركة الدائرية إلى حركة خطية، ويُعدّ أساساً لعمل الْمحركات الحديثة، وقد شرح هذا الاختراع في كتابيه "الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل" و " كتاب في معرفة الحيل الميكانيكية."[10]

9 الروبوت الآلي (Robot):

هو أوّل من اخترع أيضًا "الروبوت" القابل للبرمجة: بناءاً على طلب أمير "ديار بكر" ويُدعى "آمِد" أن يصنع آلةً تغنيه عن الخدم كلما رغِب في الوضوء للصلاة. [11]

10 ابتكار الكاميرا (Camera):

يُعَدُّ ابن الهيثم محمد بن الحسن (ت 430 هـ) أوّلَ من ابتكر فكرة الكاميرا وأنشأها عمليًا، والتي عُرفت باسم "القُمرة الْمظلمة" (Camera Obscura) [12]وقد استخدمها في تجاربه البصرية لشرح ظاهرة انعكاس الضوء وكسوف الشمس، كما بيّن آليتها بدقّة في كتابه كتاب المناظر، موضحًا كيفية انتقال صورة الأجسام من الخارج إلى سطحٍ داخلي عبر ثقبٍ صغير.

11 أوَّل عملية لسحب الْمياه البيضاء (Cataract surgery):

يُسجّل التاريخ الطبيّ أنّ أوّل إزالةٍ للمياه البيضاء (الساد) عبر الشفط قام بها الطبيب الْمسلم عمار بن علي الموصلي [13] سنة 397 هـ، وقد ابتكر الموصلي إبرة معدنية مجوّفة استخدمها لسحب المياه البيضاء من العين، وهي طريقة عُدّ فيها سابقةً علميةً في عصره،، وما زالت مبادئها الأساسية مستخدمة حتى اليوم في جراحات العيون.

12 تأسيس علم الكيمياء (Chemistry):

يُعتبر العالم الْمسلم جابر بن حيّان (المتوفى: 160هـ) المؤسس الحقيقيّ والأوّل لعلم الكيمياء [14]، ولذلك لُقّب بـ" أبي الكيمياء" فقد نقل هذا العلم من إطار الخرافات إلى المنهج العلمي التجريبي، مبتكراً عمليات مخبرية أساسية كالتقطير، والتبلور، والتسامي، بالإضافة إلى اختراع أجهزة التقطير (الإنبيق).

13 أوَّل من أسّس لغة الْمكفوفين (Braille Language):

يُذكر أنّ العالم الْمسلم العراقيّ الشيخ زين الدين الآمدي (المتوفى: 712 هـ) كان أول من ابتكر طريقة الكتابة البارزة للمكفوفين قبل نظام لويس برايل بـ 5 قرون. [15] وقد شكّلت محاولته خطوةً رائدةً في تمكين المكفوفين من التعلّم والاطلاع على الأشياء.



14 اكتشاف الْميكروبات (Microbiology):

يُذكر أنّ العلامة الفقيه الْمسلم آق شمس الدين (ت 957هـ) شيخ السلطان محمد الفاتح كان أوّل من اكتشف "الميكروبات" ووضع تعريفاً لها في القرن الخامس عشر الميلادي (حوالي 1459م)، أي قبل العالم الفرنسي لويس باستور بأربعة قرون، فقد ذكر في كتابه "مادة الحياة" أنّ هناك كائناتٍ دقيقةً لا تُرى بالعين المجرّدة، وتكون سببًا في الأمراض الْمعدية.[16]

15 اكتشاف أمريكا (Discovering America):

يذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب" خبر بحّار مسلم يُدعى خشخاش بن سعيد بن أسود يُعتقد أنه أوّل من قطع المحيط الأطلسي وأول من اكتشف أمريكا وعاد منها بحمولات ثمينة.[17]

16 اكتشاف القهوة (Coffee):

اتفق العديد من المؤرخين على أن الصوفي اليمني الشيخ علي بن عمر الشاذلي رحمه الله هو من أوائل من اكتشف "القهوة" واستخدمها،[18] حيث نقلها من الحبشة إلى اليمن. وتُنسب لليمن الريادة في شربها وتطويرها، وتحديداً من قبل الصوفية للمساعدة على السَهر والعبادة.

17 اختراع الْمحرِّك البخاري (Steam engine):

يُعتبر العالم والْمهندس الْمسلم تقي الدين الشامي (ت 993 هـ) من أوائل من وصفوا وطوّروا توربينًا بخاريًا بدائيًا، حيث صمّم آلة لتدوير سيخ شواء باستخدام بخار الماء. ورغم أن الْمسلمين وضعوا أسسًا مبكرة[19]

18 رصد النجوم (Observing the stars):

يُعد الْمسلمون من أوائل من رصد النجوم بدقة متناهية، وبرز منهم علماء أسّسوا علم الفلك، أبرزهم الشيخ عبد الرحمن الصوفي (ت 376 هـ) الذي رسم خرائط دقيقة للنجوم، ومحمد بن جابر البتّاني (317 هـ) الذي صحّح أرصاد بطليموس[20]، وعلي بن يونس الصفدي (399 هـ) الذي رصد أكثر من 10,000 موقع للشمس والنجوم[21]، حيث طوروا أدوات كـ"الأسطرلاب" وأنشؤوا مراصد شهيرة في بغداد ودمشق، والقاهرة.

19 اكتشاف وجود السديم في السماء (Discovering Nebula):

يُعدّ الفلكي المسلم الشهير عبد الرحمن الصوفي (ت 376 هـ) أوّل من سجّل وصفًا دقيقًا لما يُعرف اليوم بالسديم، وتحديدًا مجرة الْمرأة المسلسلة (الأندروميذا، وقد ذكرها في كتابه الشهير "صور الكواكب الثمانية والأربعين"[22]، حيث وصفها بأنها "لطخة سحابية" تظهر في كوكبة المرأة الْمسلسلة، وهو وصفٌ علميّ دقيقٌ للغاية بمقاييس عصره.

20 اختراع النظارة الطبية (Eyeglasses):

يُعتبر ابن الهيثم (ت 430 هـ) الرائد الأول في تأسيس علم البصريات الحديث، والذي أرست أبحاثه وتجاربه في العدسات الْمحدبة حجر الأساس لاختراع النظارات الطبية. قام ابن الهيثم بدراسة وظيفة العدسات لتصحيح ضعف البصر، مما مهد الطريق لتطوير النظارات لاحقاً.[23]

21 اكتشاف الدورة الدموية (Discovery Of Blood Circulation):

يعدُ الطبيب المسلم ابن النَفيس القرشي (ت 687 هـ) أوّل من اكتشف الدورة الدموية الصغرى (الرئوية) في القرن الثالث عشر الميلادي، قبل الأطباء الأوروبيين بعدة قرون وقد بيّن ذلك في كتابه "شرح تشريح القانون"..[24]

22 نشأة قانون الجاذبية (Law of Gravity):

سبق عددٌ من علماء المسلمين من نيوتن (Isaac Newton) بمئات السنين في وضع بذور مفهوم الجاذبية الأرضية وتفسير سقوط الأجسام، ومن أبرزهم أبو الريحان البيروني (ت 440 هـ) الذي أشار في كتابه "القانون المسعودي" إلى أن الأثقال تهبط إلى أسفل، وكذلك العالم عبد الرحمن الخازني (550 هـ) الذي وضع نظرية حول جذب الأرض للأجسام في كتابه "ميزان الحكمة"، حيث أثبتوا أن للأرض قوة جاذبية تتجه نحو مركزها قبل صياغة نيوتن لقانونه بعدة قرون.[25]

23 اكتشاف الشبكية هي عنصر الإبصار (Retina of the Eye):

هو العالم الْمسلم ابن الهيثم محمد بن الحسن (ت 430 هـ) كان أوّل من بيّن أنّ الشبكية هي عنصر الإبصار الرئيسي في العين، وشرح تركيب العين ووظائفها بدقة، مفنداً نظريات اليونان القديمة، وذلك في كتابه الشهير "كتاب المناظر"[26]

24 المحاولة الأولى للطيران (First Human Flight):

يُعتبر العالم الأندلسي المُسلم عباس بن فرناس (ت 274 هـ) أوّل من قام بمحاولة علمية حقيقية وموثّقة للطيران في تاريخ البشرية. حيث صمّم آلة طيران من الخشب والحرير، وحلق بها لفترة وجيزة في قرطبة قبل أن يسقط، متنبئاً بأهمية الذيل للطيران، وهو ما ألهم تجارب الطيران اللاحقة. (27)

25 اختراع قلم الحبر (Fountain Pen):

المسلمون هم أوّل من اخترعوا قلم الحبر (القلم الخزّاني)، وتحديداً في القرن الرابع الهجري قبل مئات السنين من ظهوره في أوروبا. ويعتبر العالم الشامي صاعد بن الحسن بن صاعد الرحبي (ت 430هـ) هو المُبتكر الفعليّ لقلم حبر يخزن المُداد داخله ويكفي لشهر كامل، وصنعه من الحديد،(28) بينما تذكر مصادر أخرى أنّ عباس بن فرناس (ت 274 هـ) في الأندلس هو من اخترع أول قلم حبر.(29)

26 تطوير صناعة الزجاج الشفّاف (Glass production):

أجمع المؤرخون على أن عباس بن فرناس (ت 274 هـ)، العالم الأندلسي، هو أول من استنبط طريقة لصناعة الزجاج الشفاف من الحجارة والرمل في الأندلس (30)

27 ابتكار آلة السّدس (Sextant):

المُسلمون هم أوّل من ابتكروا واستخدم آلة السدس (Sextant) الفلكية، وتحديداً العالم الفلكي أبو محمود الخُجَندي (ت 391 هـ) الذي صمّم في القرن الرابع الهجري الآلة باسم "السدس الفخري"(31)

28 أوّل من اخترع الآلة لقياس الوقت (Time Measuring Devices):

يُعدّ العالم المسلم بديع الزمان ابن الرزاز الجزري (ت 602 هـ) من أبرز من طوّروا آلات لقياس الوقت، حيث صمّم ساعات مائية وفلكية دقيقة، بينما يُنسب إلى عباس بن فرناس (ت 274 هـ) في الأندلس اختراع الآلة لضبط الوقت "الميقاتة"، مما يعكس إسهامات المسلمين الكبيرة في علم الآلات الميكانيكية .

29 ابتكار حامل المصحف الآلي (Automatic Quran holder innovation):

أول من ابتكر حامل المُصحف الآلي هو المهندس المسلم أحمد (أو محمد) بن خلف المرادي الذي عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). وذكرت الابتكارات في كتابه "الأسرار في نتائج الأفكار"، حيث صمّم حاملاً ميكانيكياً كان يُستخدم في جامع قرطبة لرفع وفتح المُصحف آلياً دون لمسه.

30 تأسيس علم الجبر (Algebra):

يعتبر العالم المسلم محمد بن موسى الخوارزمي (ت 232 هـ) المُؤسس الحقيقي لعلم الجبر(32)، حيث وضع أسسه وقواعده في كتابه الشهير "المختصر في حساب الجبر والمقابلة" قدّم الخوارزمي حلولاً منهجية للمعادلات الخطية والتربيعية، ونقل الأرقام الهندية للعربية، ووضع أسس الخوارزميات، مما أحدث ثورة في الرياضيات.

ختامًا!

لقد أظهر المسلمون خلال العصور الذهبية إبداعًا علميًا وهندسيًا مدهشًا، ترك أثره واضحًا في جميع ميادين الحياة، من التعليم والطب والفلك إلى الهندسة والرياضيات والميكانيكا. كانت اختراعاتهم رائدة، إذ سبقت الكثير من اكتشافات العالم الغربي بقرون، وأسست لمنهج علمي يعتمد على التجربة والملاحظة والدقة.

إن دراسة هذه الاختراعات تذكّرنا بأهمية العلم والعمل، وتبرز الدور الفاعل للمسلمين في تقدم البشرية، كما تحفّز الأجيال الحديثة على الابتكار واستلهام التاريخ لتحقيق إنجازات جديدة. وهكذا يبقى إرثهم العلمي منارةً للتقدم، وشاهدًا على غنى الحضارة الإسلامية وإسهاماتها الخالدة في المعرفة الإنسانية.

---

(1) (كتاب الأعلام للزركلي: 132/5). (2) (طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح: 446/1). (3) (تاريخ الإسلام للذهبي: 47/7). (4) (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي: 267/4). (5) (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي: 491/1). (6) (الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي: 100/2). (7) (كنز الدرر وجامع الغرر لابن الدّواداري: 196/5). (8) (معلمة الإسلام لأنور جندي: 365/1).(9) (كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد: 192). (10) (أعلام الحضارة العربية الإسلامية لزهير حمدان: 131/3). (11) (الموسوعة العربية العالمية: 320/3 بتصرف، https://tecnologiya8.blogspot.com/2017/11/blog-post_2.html). (12) (معجم الفردوس: 50/2).(13) (هكذا كانوا يوم كنا لحسان شمسي باشا: 65). (14) (أعلام الحضارة العربية الإسلامية لزهير حمدان: 218/1). (15) (كتاب الأعلام للزركلي: 257/4). (16) (العثمانيون في التاريخ والحضارة: 269). (17) (مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي: 135/1 بتصرف، نزهة المشتاق للإدريسي: 548/2 بتصرف). (18) (القول المكتوب في تاريخ الجنوب: 163/28). (19) (تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية: 47). (20) (كتاب زيج الصابئ للبتاني: 7).
(21) (ابن يونس المصري). (22) (صور الكواكب لعبد الرحمن الصوفي: 357). (23) (شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه: 150). (24) (موسوعة علماء العرب والمسلمين وأعلامهم: 70).(25) (دائرة سفير للمعارف الإسلامية). (26) (كتاب المناظر لابن الهيثم: 54). (27) (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: 374/3). (28) (أعلام الحضارة العربية الإسلامية لزهير حمدان: 1: 480). (29) (موسوعة تاريخ الأندلس: 91/1). (30) (كتاب منتخبات التواريخ لدمشق: 1129/3). (31) (أعلام الحضارة العربية الإسلامية لزهير حمدان: 1: 290). (32) (تاريخ ابن خلدون: 637/1).

أم حيان العطارية

آثار الطلاق وأسبابه



الزواج ارتباط وميثاق وبناء للأسرة عظيم، وفك الارتباط هو الطلاق الذي هو أبغض الحلال عند الله تعالى قال سبحانه عز وجل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾.[1]

وقال النبي ﷺ:

أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ.[2]

الطلاق تشريع حكيم من الله عز وجل لعباده، فهو حل جذري لبعض المشكلات التي لا حل لها إلا الطلاق، ولكن لكل شيء إيجابيات وسلبيات، فالطلاق ليس مجرد فراق بين شخصين وانتهى الأمر، بل انفصال عائلتين إن كان الزواج من الأقارب أو المعارف.

أما إذا كان لدى الزوجين أولاد فهنا يحدث خلل في قلب الأسرة طوال العمر، سواء انضم الأولاد إلى الأم أو إلى الأب، وفي كل الحالات يتأثر الطفل نفسياً مهما كان عمره. والمشاكل والنزاعات الدائمة تُحدث جرحاً عميقاً في نفوس الأولاد.

الحياة الأسرية الهادئة المبنية على المودة والرحمة والحنان تَبني جيلاً سوياً يسهم في بناء المجتمع، ، أما الطلاق فيجعل الشرخ الكبير في العائلة وخاصة في حياة الطفل، قد تجعله ينحرف عن الطريق القويم غالبًا مع أن كل المجتمع يعرف هذه السلبيات إلا أن نسبة الطلاق تزداد أكثر في السنوات المتأخرة.

الطلاق مشكلة كبيرة جدًا مع الأولاد، فهم يدفعون فاتورة سوء اختيار لا ذنب لهم فيه. يُصابون بـأمراض وعقد نفسية تختلف حدتها، مع الشعور بعدم الأمان والنقص أمام أقرانهم، مما يؤثر على دراستهم وتميزهم في بناء المجتمع، بالإضافة إلى السلوك غير القويم.

في المحاكم نجد أن أغلب المجرمين نشؤوا في أسر متفككة ساهمت الحياة القاسية من الانقسام الأسري وشوهت قلوبهم عاطفياً وفكرياً وسلوكياً.

الإسلام لا يمنع الطلاق بل أباحه عند الحاجة، لكن منهج الإسلام هو الإصلاح قدر المستطاع، قال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[3]

عند تعذر الصلح وتعذر الاستمرار يكون الطلاق آخر الحلول.

فمن أهم أسباب الطلاق في مجتمعاتنا هو:

- الزواج المبكر في العمر والزواج السريع أيضًا، دون معلومات كافية لكلا الطرفين عن بعضهما، فالخطوبة هي مقدمة للزواج، ويجب أن تبنى فكرة الاستمرارية أو عدمها من الخطوبة، قبل التسرّع في الزواج.

- حب الذات وعدم التضحية من الزوج والزوجة في كثير من الأمور يجعل باب الطلاق أهون من التنازل في بعض الأمور، فكم وكم رأينا طلاقًا لأسباب تافهة جدًا.

- كما ساعدت مواقع التواصل الاجتماعي في خراب بيوت المسلمين، وانتشار العلاقات المحرمة والتهاون من الرجل أو المرأة، فعندما يتهاون الرجل في موضوع التكلم والنظر والحوار مع النساء ويقع في علاقات لا ترضي الله فمن الطبيعي أن يكره زوجته ويبحث عن امرأة أفضل منها، وكذلك الأمر نفسه في النساء فقد سهل وهان التكلم مع الرجال في مواقع التواصل الاجتماعي؛ بسبب أنه تواصل غير مباشر وفقط هو كلام عام، ثم بعد ذلك يتطور إلى أن يصل لمرحلة تطلب فيها المرأة طلاقًا من زوجها حبًا في الارتباط بغيره، وهذا يحدث الآن بكثرة؛ لأن الإنترنيت أداة ذو حدين إما أن يعيننا ويقوي فينا المراقبة الإلهية، وإما أن يجعل المرء بحرية تامة بسبب أن الناس لا يرونه، وينسى أن رب الناس هو أقرب إليه من حبل الوريد.

الطلاق له أسباب كثيرة معقدة متعددة يختلف حسب المجتمعات، والمجتمعات بحاجة لتعزيز الثقافة عن الزواج وتربية الأطفال والدعم الاستشاري الأسري لكل شخص مقدم على الزواج، وذاك لتخفيف ظاهرة الطلاق لما لها من آثار سلبية خاصة على الأطفال والزوجين والمجتمع.



---

(1) [الطلاق: 1].
(2) (سنن أبي داود: 2178)
(3) [النساء: 35].



مقالات تنويرية

العبادة في الإسلام

أهميتها، مكانتها، شموليتها، وشروط صحتها

الشيخ عبد الباسط محمد



الحمدُ للهِ الذي خلق الخلق لعبادته، وجعلها الغايةَ العظمى من وجود الإنسان، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ الذي بلّغ عن ربّه أكملَ بيانٍ لمعنى العبودية الحقّة.

إنّ العبادةَ في الإسلام ليست مجردَ شعائرَ تؤدّى، بل هي منهجُ حياةٍ شاملٌ يربط القلب بالله تعالى، ويهذّب السلوك، ويقيم ميزانَ القيم في الفرد والمجتمع.

ومن هنا تتجلّى أهميةُ الوقوف على حقيقة العبادة، ومفهومها، وشمولها، وآثارها، وشروط قبولها؛ إدراكًا لمكانتها العظيمة في بناء الإنسان وصلاح الأوطان.

أولًا: أهمية العبادة وأثرها في بناء الفرد والمجتمع

تحتلّ العبادة في الإسلام منزلةً مركزيةً في البناء العقدي والتربوي، إذ تُعدّ الأساس الذي تقوم عليه علاقة العبد بربه، وهي الركن الركين في إصلاح السلوك، وتهذيب النفس، وتقويم الأخلاق، وتزكية القلب من أدران الرذائل، كما تسهم في بناء مجتمع متماسك تسوده القيم الإيمانية والضوابط الشرعية.

وقد دلّ القرآن الكريم على أن العبادة هي جوهر دعوة الرسل جميعًا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.[1]

فدلّت الآية على أن توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هو الغاية الكبرى من الرسالات السماوية.

ثانيًا: مفهوم العبادة لغةً وشرعًا:

١ العبادة في اللغة: جاء في مادة «عبد» عند ابن فارس: «العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، و[الأول] من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ.[2]

وقال ابن سيده: «أصل العبادة في اللغة: التذليل، من قولهم: طريق معبد أي مذلل، ومنه أُخذ العبد لذلته لمولاه، والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب في المعاني، والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم».[3]

وقال الأزهري: «ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع».[4]

٢ العبادة في الاصطلاح الشرعي: عرّفها ابن كثير رحمه الله تعالى بقوله: هي ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، إذ إن الحب الكامل مع الذل التام يستلزم طاعة المحبوب والانقياد له.[5]

وقال الرازي: صارت في الشرع اسمًا لكل طاعة لله تعالى أُدّيت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم.[6]

ثالثًا: شمولية العبادة في الإسلام:

يمتاز مفهوم العبادة في الإسلام بالشمول والاتساع؛ إذ لا يقتصر على الشعائر التعبدية المحضة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، بل يمتد ليشمل سائر مجالات الحياة متى اقترنت الأعمال بالنية الصالحة.

وقد قرّر النبي ﷺ قاعدة هذا المفهوم بقوله:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[7]

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

«ربّ عمل صغير تُعظِّمه النية، ورُبّ عمل كبير تُصغِّره النية» [8].

وبيّن النبي ﷺ أن أبواب الخير واسعة تشمل تفاصيل الحياة اليومية، فقال:

كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة.[9]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك» [10]

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة»[11].

وقال زيد الشامي رحمه الله: «إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء، حتى في الطعام والشراب»[12].

فدلّت هذه النصوص على أن كل عمل مباح يمكن أن يتحول إلى عبادة بالنية الصالحة، مما يجعل حياة المسلم كلها دائرة في فلك الطاعة.

رابعًا: أنواع العبادة ومكانتها:

نوّع الله تعالى صور العبادة رحمةً بعباده، وحكمةً في تزكية جوانب النفس المختلفة، وقد قسمها العلماء إلى ثلاثة أنواع رئيسة:

1. العبادات القلبية:

وهي أصل الأعمال وروحها، كالإخلاص، والمحبة، والتوكل، والخوف، والرجاء، والصبر، والإنابة، والنية الصادقة.

2. العبادات القولية:

كالشهادتين، وتلاوة القرآن، والأذكار، والحمد، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدق الحديث.

3. العبادات البدنية:

وهي ما تؤديه الجوارح من أعمال، كالصلاة، والصيام، والحج، وسائر الطاعات العملية.

وهذا التقسيم يُبرز تكامل العبادة في الإسلام، إذ تشمل القلب واللسان والجوارح في منظومة تربوية متوازنة.

خامسًا: شروط صحة العبادة:

من رحمة الله تعالى أنه بيّن لعباده شروط قبول العبادة حتى لا يضيع سعيهم، وهذه الشروط ثلاثة:

1. الإخلاص لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[13]. وقال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[14].

2. صحة الاعتقاد:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾[15]. وقال ﷺ: اتقوا الله ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم.[16]

3. المتابعة لرسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[17]. وقال ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[18]

فلا تصح العبادة إلا باجتماع الإخلاص، وصحة الاعتقاد، والمتابعة، وإذا اختلّ شرط منها لم تُقبل العبادة.

وخلاصة القول: إنّ العبادة في الإسلام ليست مجرد طقوس تؤدّى في أوقاتٍ محددة، ولا أعمالٍ شكليةٍ تُؤدّى على العادة، بل هي منهج حياة متكامل، يُنظّم علاقة الإنسان بربه، ويُهذّب سلوكه، ويُزكّي قلبه، ويُصلح مجتمعه.

وقد جاء الإسلام بمفهومٍ شاملٍ للعبادة يجمع بين أعمال القلوب والألسنة والجوارح، ويجعل النية الصالحة روحًا تسري في كل حركةٍ وسكنةٍ من حياة المسلم.

كما بيّن الشرع الحكيم شروط قبول العبادة، صيانةً للأعمال من الضياع، وحفظًا للجهود من الإحباط، فجعل الإخلاص لله، وصحة الاعتقاد، والمتابعة لرسول الله ﷺ أُسسًا لا تقوم العبادة إلا بها. وبهذا التوازن الدقيق تتحقق العبودية الصادقة التي تُثمر صلاح الفرد، واستقامة المجتمع، ونيل رضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة.

فحريّ بالمسلم أن يستحضر هذا المعنى العظيم، وأن يجعل عبادته قائمة على العلم والبصيرة، وأن يسعى لتحويل حياته كلها إلى طاعةٍ وقربى، تحقيقًا للغاية التي خُلق من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[19].

---

(1) [الأنبياء: 25]. (2) (مقاييس اللغة، ابن فارس، 205/4، 207). (3) (المخصص، ابن سيدة، 62/4). (4) (تهذيب اللغة، الأزهري، 138/2). (5) (تفسير القرآن العظيم، 134/1). (6) (مفاتيح الغيب، 243/32). (7) (رواه البخاري، 7/1). (8) (جامع العلوم والحكم، ابن رجب، 10).(9) (رواه البخاري، 2989). (10) (رواه البخاري، 56). (11) (رواه البخاري، 55). (12) (جامع العلوم والحكم، ابن رجب، 10). (13) [البينة: 5]. (14) (رواه مسلم، 2564).(15) [غافر: 40].(16) (رواه الترمذي، 616).(17) [الحشر: 7]. (18) (رواه مسلم، 1718). (19) [الذاريات: 56]



محمد جنيد القادري
كاتب في إدارة الشؤون العربية

قسم تقنية المعلومات
في مركز الدعوة الإسلامية

لقد بيّن الله سبحانه وتعالى من خصائص أمة سيدنا محمد ﷺ أنها أمةٌ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وانطلاقًا من هذا الواجب العظيم على أكمل وجه، يحرص مركز الدعوة الإسلامية على توظيف مختلف الوسائل المتاحة، وبذل أقصى الجهود لخدمة الدين الحنيف بأساليب عصرية مؤثرة وفعّالة.

وفي ظل واقعنا المعاصر، غدت التكنولوجيا جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان، وامتد تأثيرها إلى مختلف مجالات الحياة، كما يشهد عالم التقنية تطورًا متسارعًا ومتلاحقًا، مع ظهور منصات ووسائل حديثة باستمرار، وقد نتج عن هذا الواقع تحديات متجددة أمام المسلم، لا سيما مع انتشار مؤثرات قد تنعكس سلبًا على الإيمان والعقيدة والسلوك والأخلاق، ومن هنا تبرز الحاجة الملحّة إلى نشر تعاليم الإسلام الصحيحة، المستندة إلى مصادر موثوقة، عبر الوسائل الرقمية الحديثة.

واستجابةً لهذه الحاجة، لم يقتصر دور مركز الدعوة الإسلامية على توفير المنصات الرقمية فحسب، بل قام بتأسيس قسم متكامل باسم: "تقنية المعلومات"، ليكون أحد أبرز الأقسام الحيوية لدى المركز، إذ يتطلع القسم إلى دور محوري في ربط الأمة الإسلامية بدينها، وتقديم المحتوى الإسلامي الصحيح والموثوق عبر شبكة الإنترنت بأساليب احترافية.

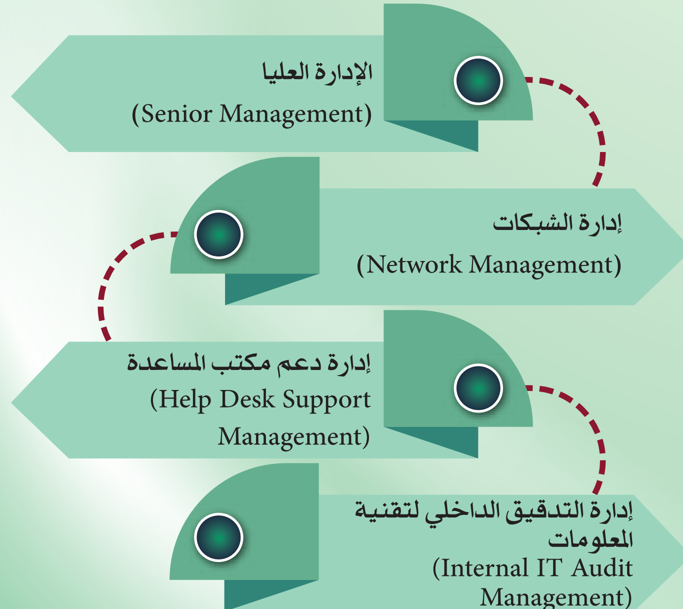
هيكل قسم تقنية المعلومات:

يتكوّن قسم تقنية المعلومات من ثلاثة أقسام رئيسية، يعمل كل منها ضمن منظومة واحدة لتحقيق أهداف المركز:

١ قسم البنية التحتية (Infrastructure Department)

يُعد هذا القسم الركيزة الأساسية التي يقوم عليها عمل تقنية المعلومات، حيث تُعتمد فيه السياسات والأنظمة التي تضمن سير العمل بكفاءة وفعالية، كما يتولى تقييم الأداء، وتحليل النجاحات والتحديات، ووضع الخطط الإستراتيجية المستقبلية.

ويشمل هذا القسم:



2 قسم إدارة الموقع والتسويق
(Operations & Marketing Department)

يتولى هذا القسم الجوانب الإدارية والتسويق الرقمي والامتثال الشرعي، حيث يعمل على إدارة المشاريع التقنية وتنظيمها، والترويج لها بأساليب احترافية مؤثرة.

ويضم الأقسام الفرعية التالية:



3 قسم تطبيقات البرمجيات
(Operations & Marketing Department)

يختص هذا القسم بتطوير التطبيقات الخاصة بالهواتف الذكية والمواقع الإلكترونية، حيث يقوم بتصميم وإنتاج برمجيات رقمية تخدم مجالات الدعوة، والتنظيم، والتعليم، والبحث، والإصلاح، والعمل الخيري، باستخدام التقنيات الحديثة.

وتندرج تحته الفرق التالية:



التطبيقات الإلكترونية المطوّرة في قسم تقنية المعلومات:

حرص قسم تقنية المعلومات في مركز الدعوة الإسلامية على مواكبة التطور التقني وتسخيره في خدمة الدين، فقام بتصميم وتطوير (38) تطبيقًا مخصصًا للهواتف المحمولة حتى الآن، تهدف إلى تقديم خدمات متنوعة تلبي احتياجات المستخدمين في مختلف المجالات الدينية والعلمية، ويمكن تصنيف بعض هذه التطبيقات وفق مجالاتها وأهدافها ضمن الفئات الآتية:

التطبيقات الإلكترونية المطوّرة في قسم تقنية المعلومات:



تطبيقات تعنى بأوقات الصلاة وأحكام الحج والعمرة وتجهيز الجنازة:



تطبيقات لنشر المحتوى العلمي والبحثي والثقافي بأسلوب رقمي حديث:

متجر مكتبة المدينة الإلكتروني (E-Store Maktaba-tul-Madinah)	اقرأ واستمع إلى الكتب الإسلامية (Read and Listen Islamic Books)
مجلة نفحات المدينة الشهرية (Mahnama Faizan-e-Madina)	مكتبة الكتب الإسلامية الإلكترونية (Islamic eBook Library)
الخطب والمحاضرات الإسلامية (Islamic Speeches)	مسابقة اختبار الذكاء (Zehni Azmaish - Quiz App)

تطبيقات متخصصة في الفقه والمسائل الشرعية وفق المذهب الحنفي:

دار إفتاء أهل السنة (Dar-ul-Ifta Ahlesunnat)	كتاب بهار الشريعة (Bahar-e-Shariat)

تطبيقات إنشادية تضم الدواوين المشتملة على المناجاة والابتهالات والمدائح النبوية:

ديوان حدائق الغفران (Kalam-e-Ala Hazrat)	مجموعة الأناشيد الإسلامية (Naat Collection)

تطبيقات تسهم في دعم الأنشطة الدعوية والتنظيمية:

القافلة المدنية (Madani Qafila)	حجز الأضاحي مع أحكامها الفقهية (Qurbani Collection)
ذوو الاحتياجات الخاصة (Special Persons)	الأعمال الصالحة - مع ميزة اللغة العربية (Neik Amaal)

تطبيقات مخصّصة للشخصيات العلمية البارزة في المركز لإتاحة فرصة الاستفادة من محاضراتهم وبرامجهم الدعوية المختلفة:

- فضيلة الشيخ محمد إلياس القادري - مؤسس المركز (Maulana Muhammad Ilyas Qadri)
- الشيخ عبيد رضا العطاري المدني - نجل مؤسس المركز (Al-Haaj Ubaid Raza Attari Madani)
- الشيخ محمد عمران العطاري - رئيس مجلس الشورى للمركز (Maulana Muhammad Imran Attari)
- المفتي الشيخ قاسم العطاري - المفتي العام بالمركز (Mufti Qasim Attari)
- الشيخ عبد الحبيب العطاري - عضو مجلس الشورى بالمركز (Maulana Abdul Habib Attari)

تطبيقات للرقية الشرعية والصلاة على النبي ﷺ:

الصلاة على النبي ﷺ (Durood-o-Salam)	الرقية الشرعية (Ruhani Ilaj)

تطبيق مخصّص لتعليم الأطفال وتنشئتهم دينيًا وأخلاقيًا، حيث يقدّم محتوى ملائمًا لمختلف أعمارهم، إلى جانب إرشادات قيّمة للوالدين تعينهم على حسن تربيتهم:

- الأذكار والأدعية (Kalma and Dua)

تطبيقات خاصة بالبث المباشر لقناة مدني الفضائية:

قناة مدني الفضائية - البث الصوتي (Madani Channel Audio)	إذاعة قناة مدني الفضائية (Madani Channel Radio)

تطبيق متكامل للخدمات الرقمية بالمركز، يجمع جميع تطبيقات المركز ومنصاته وخدماته الإلكترونية في واجهة واحدة شاملة وسهلة الاستخدام:

- خدمات مركز الدعوة الإسلامية الرقمية (Dawat-e-Islami Digital Services)

برامج الحاسوب الإلكترونية: (Desktop Software)

ولم تقتصر جهود القسم على تطبيقات الهواتف الذكية فحسب، بل امتدت لتشمل تطوير برامج مخصصة لأجهزة الحاسوب، وتقدّم خدمات علمية ودعوية متقدمة للمستخدمين، ومن أبرزها:

- برنامج مكتبة المدينة (Al-Madina Library)
- برنامج الفتاوى الرضوية (Fatawa Razaviyya)
- برنامج القرآن الكريم (Al-Quran Software)
- برنامج مواقيت الصلاة (Prayer Timings)

وفي ظلّ هذا التنوّع التقني، يسعى قسم تقنية المعلومات بشكل مستمر لإيصال رسالة المركز بأسلوب عصري متطور يجمع بين الأصالة والابتكار، ويلبّي احتياجات المستخدمين في المجالات الدعوية والعلمية والتربوية، وذلك من خلال توظيف التقنيات الحديثة لتقديم خدمات رقمية متكاملة تسهم في نشر الدعوة وتعزيز الوعي الديني في الفضاء الرقمي.

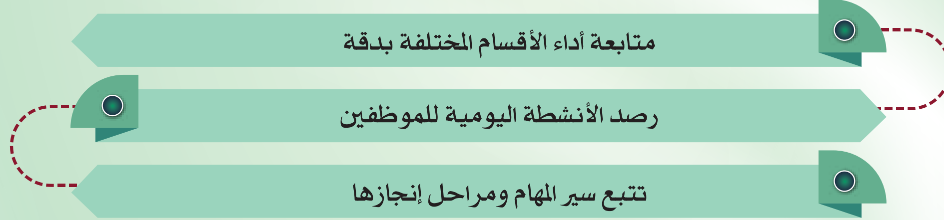
المواقع الإلكترونية المطوّرة في قسم تقنية المعلومات:

وإلى جانب تلك التطبيقات والبرامج، أنشأ قسم تقنية المعلومات (46) موقعًا إلكترونيًا يواكب أنشطة المركز على مستوى العالم، ويبرز دوره في تقديم خدماته الدينية والتعليمية والتربوية والخيرية والإدارية، ويتصدرها الموقع الرسمي للمركز (www.dawateislami.net)، الذي يُعد واجهة رئيسية للتعريف بالمركز وبرامجه وفعالياته، إضافةً إلى محتواه الدعوي والإعلامي، ويمثّل الموقع منصة شاملة لجميع أقسام المركز، ويجري تطويره باستمرار وفق المعايير المتطورة العالمية.

كما تتوفر نسخة عربية مستقلة لهذا الموقع (arabicdawateislami.net) موجّهة للناطقين بالعربية، وتقدّم محتوى متنوعًا يشمل البرامج والمقالات والكتب والمواد التوعوية والتصاميم التحفيزية.

برنامج إدارة المهام: (Task Management Software)

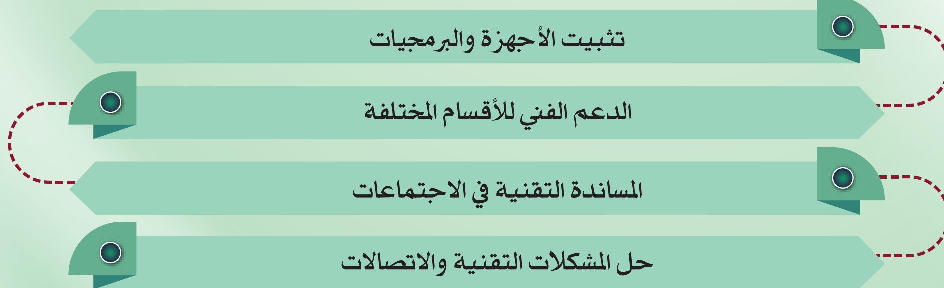
وفي سياق التحول الرقمي، طوّر القسم برنامجًا متكاملًا لإدارة المهام والمشاريع والأعمال، يهدف إلى تحسين كفاءة العمل المؤسّسي، حيث يتيح:



مما يسهم في رفع الإنتاجية وتعزيز جودة الأداء.

الخدمات بين الأقسام: (Inter Department Services)

كما يقدّم قسم الدعم الفني التابع لقسم تقنية المعلومات خدمات تقنية متواصلة على مدار 24 ساعة لجميع أقسام المركز والعاملين فيه حول العالم، وتشمل خدماته:



الخاتمة:

يواصل قسم تقنية المعلومات جهوده الحثيثة نحو تحقيق مزيد من الإنجازات المستقبلية، ساعيًا إلى توسيع نطاق خدماته، ومواكبة أحدث المستجدات التقنية في خدمة دين الإسلام.

نسأل الله تعالى أن يبارك في أعمال ونشاطات مركز الدعوة الإسلامية كافة، وأن يوفق القائمين عليه والعاملين فيه للإخلاص في خدمة دينه، وأن يجعل هذه الجهود المبذولة خالصةً لوجهه الكريم، آمين، والحمد لله رب العالمين

محمد جنيد القادري
كاتب في إدارة الشؤون العربية

توعية الأطفال ضد التحرّش

في ظلّ ما يشهده العالم من اضطرابات ومخاطر وكذلك ما تمر به الأمة من ظروف وأحداث، أصبحت حماية أنفسنا وأهلنا ولا سيما أطفالنا ضرورةً ملحّة لا تحتمل التهاون أو الإهمال، فنحن نسمع بين الحين والآخر عن حوادث اختطاف للأطفال أو الاعتداء عليهم أو تعرّضهم لمعاملات مؤذية وغير إنسانية.

وللأسف، هناك فئة من المجرمين تجردت من معاني الرحمة والضمير، ولا يمكن وصفها بالإنسانية، يدفعها الطمع في المال، أو الجشع للإجرام، أو الابتزاز، أو غيرها من الأغراض الآثمة، إلى ارتكاب جرائم بشعة بحق الأطفال ذكورًا وإناثًا، بل قد يبلغ بهم الإجرام إلى درجة سلب الأرواح بطرق تقشعرّ لها الأبدان وتتفطر لها القلوب.

وفي ظلّ هذه التحديات -أخي العزيز تقع على عاتق الوالدين مسؤولية عظيمة لا يمكن التفريط فيها، وهي مسؤولية حماية الصغار ورعايتهم وتحصينهم بالتوعية والمتابعة المستمرة.

ومن هذا المنطلق، نودّ مشاركتك جملةً من الإرشادات المهمة التي ينبغي حفظها والعمل بها، مع الحرص على تربية الأولاد عليها بأسلوب حكيم:

١ عدم السماح للأطفال بالخروج من المنزل إلا عند الحاجة والضرورة.

٢ إذا خرج الطفل، فيجب أن يكون تحت إشراف مباشر من الوالدين أو من شخص موثوق من الأسرة.

٣ متابعة صداقات الطفل في الحيّ والمدرسة وسائر الأماكن، ومعرفة من يخالطهم ويصاحبهم.

٤ تعليم الطفل عدم الاقتراب من أي رجل أو امرأة غريبَين يحاولان استدراجه أو مناداته.

٥ توعيته بطريقة مناسبة بالفرق بين اللمس المقبول واللمس المرفوض، وغرس الشعور بحقه في رفض أي تصرّف يزعجه.

٦ تحذيره من قبول المأكولات مثل الحلوى أو الشكولاتة أو الهدايا أو المال من أي شخص لا يعرفه.

٧ تنبيهه إلى عدم إقامة علاقات أو صداقات مع من يكبرونه سنًا دون علم الأسرة.

٨ التأكيد عليه بأن يخبر والديه أو الأهل فورًا إذا تعرّض لأي تصرّف غير لائق، حتى وإن صدر من قريب أو شخص مألوف.

٩ تعليمه أنه إذا حاول أحد الإمساك به أو لمسه بطريقة غير مناسبة، فعليه أن يصرخ فورًا، ويطلب النجدة، ويبلغ والديه دون تردّد.

١٠ مراقبة ما يستخدمه الطفل من تطبيقات ومواقع إلكترونية ووسائل تواصل اجتماعي، مع توجيهه إلى الاستخدام الآمن.

أخي العزيز!

إنّ حماية الأطفال مسؤولية عظيمة، لا تتحقق بتوجيه عابر، بل تحتاج إلى تكرارٍ مستمرٍ بأسلوبٍ هادئٍ يناسب أعمارهم ومستوى فهمهم، هذه التوجيهات البسيطة، حين تُقدّم بلطف وتُعاد بين الحين والآخر، تترسّخ في أذهانهم، وتُسهم في تنمية وعيهم تدريجيًا، ومع مرور الوقت، يصبح الطفل أكثر إدراكًا لما يحيط به، وأقدر على حماية نفسه والتصرف بحكمة عند الحاجة، بإذن الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا وأهلنا وأطفالنا من كل سوء، وأن يصونهم من شرور الإنس والجن، ومن كل مكروه، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.



نعمة تعد ولا تهدر

فهد محمد العطاري

الماء سرُ الوجود ونعمةٌ إلهية، وهو أمانةٌ بين أيدينا، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1].

وجريان الأنهار ونزول المطر لا يعنيان استمرارهما بلا حدود، فالإسراف فيه خطرٌ جسيمٌ يهدد الفرد والمجتمع والبيئة، ويسلب حقّ الأجيال القادمة ومن هنا يبرز السؤال:

ما أهمية الماء؟

- الماء أساس الحياة لجميع الكائنات الحية.
- وسيلة للطهارة في العبادات.
- ينقل المغذيات والأكسجين داخل جسم الإنسان والحيوان.
- عنصر رئيسي في إنتاج الغذاء والزراعة.
- يدخل في صناعات متعددة كالأدوية والمشروبات والمنسوجات.
- مصدر نظيف لتوليد الطاقة الكهربائية.
- موطن للكائنات البحرية ومصدر غذاء لمليارات البشر.
- ينظم مناخ الأرض عبر المحيطات والتيارات البحرية.
- عامل استقرار صحي واجتماعي واقتصادي للمجتمعات.
- ضروري للنظافة ومكافحة الأمراض، ويدخل في تكوين الدم.

لماذا يُعَدُّ الماء سرَّ الحياة بامتياز؟

الماء هو السر الكامن وراء كل نبضة قلب، وكل نفسٍ نتنفسه، وكل ورقةٍ خضراء تميد في مهب الريح؛ فهو جوهر الوجود لجميع أشكال الحياة.

يشكّل الماء ما بين 60% و70% من وزن الإنسان البالغ، وترتفع النسبة إلى أكثر من 80% لدى الأطفال الرضع، مما يدل على أن الحياة تبدأ وتستمر بوجود الماء بوفرة.

تكمن أسرار الحياة في الماء في قدرته العالية على امتصاص الحرارة وتخزينها دون ارتفاع سريع في درجتها، مما يجعله منظمًا حراريًا مثاليًا للكائنات الحية وللكوكب بأسره.

لولا الماء، لما وُجد الأكسجين الذي نتنفسه، ولا الغذاء الذي نقتات به، ولا قامت حياة بشرية أو حيوانية.

من منظور كوني، الماء هو الذي جعل الأرض صالحة للحياة، بينما بقيت الكواكب الأخرى قاحلة إما لقربها الشديد من الشمس أو لبعدها عنها أو لغياب الغلاف الجوي الحافظ للماء.

وجود الماء السائل على سطح الأرض هو الشرط الأول الذي يبحث عنه العلماء عند البحث عن حياة في كواكب أخرى خارج مجموعتنا الشمسية.

الماء سجلّ تاريخيّ للأرض؛ إذ يحمل في طبقاته الجليدية أسرار المناخ القديم وتطور الحياة عبر ملايين السنين.

دورة الماء المستمرة بين البحر والسماء والأرض هي نظام إعادة التدوير الأعظم في الكون، الذي ينقي الماء ويجدده باستمرار دون توقف منذ مليارات السنين.

الماء هو الآيات المتنقلة التي تسير في عروقنا وفي أنهار أرضنا، وتشهد على قدرة الخالق ورحمته.

بعد أن أدركنا أن الماء هو سر الحياة وجوهر الوجود، يجب أن نسأل أنفسنا: كيف تعامل ديننا الحنيف مع هذه النعمة؟ وما هي الآداب والسنن التي أرشدنا إليها ؟

الإسلام دين الاعتدال، وقد وضع ضوابط دقيقة وأخلاقًا رفيعة للتعامل مع الماء، فجعل ترشيد استهلاكه عبادةً وقربةً إلى الله تعالى.

أول هذه الآداب هو اتباع سنة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم في الوضوء، حيث كان النبي ﷺ يتوضأ بمدٍ واحد ويغتسل بصاعٍ إلى صاعين، وهي كميات قليلة مقارنةً بما نستهلكه اليوم.

وكان ينهى عن الإسراف في الماء ولو كان على نهر جارٍ، مؤكدًا على أن الترشيد مبدأٌ أخلاقيّ دائم، لا يرتبط بندرة المورد فقط.

من آداب المحافظة على الماء في الإسلام:

- عدم تلويث المصادر المائية؛ فقد نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد أو إلحاق أي ضرر به.
- من السنن المستحبة الدعاء عند الشرب، وحمد الله بعده، تعظيمًا للنعمة وربطها بالمنعم.
- تقديم الماء للآخرين والبدء بالأيمن، وتنمية روح الإيثار.
- حث الإسلام على غرس الأشجار وسقيها، وجعلَ في كل كبد رطبة أجراً، مما يشجع على العناية بالماء المستخدم في الري وعدم إهداره سدى.
- الحث على غرس الأشجار وسقيها، وجعل في كل كبدٍ رطبة أجرًا.
  نهى الإسلام عن احتكار الماء، قال ﷺ: «لا يُمنع فضل الماء ليُمنع به الكلأ»[2].
- إصلاح التسربات في البيوت والمساجد فورًا، لأن ترك الماء يهدر دون فائدة هو تفريط في الأمانة.
- الاقتصار في الوضوء والغسل على قدر الحاجة دون زيادة ترفيهية وهذا من دأب السلف الصلح.
- عدم العبث بالماء أو عدم استخدامه فيما لا فائدة فيه وهذا من الآداب التي تحفظ هيبة النعمة.

بعد أن استعرضنا بعض الآداب والسنن، يجب أن نلفت النظر إلى بعض صور الإسراف والتبذير التي انتشرت في مجتمعاتنا وتستنزف هذه الثروة الحيوية.

أبرز صور الإسراف المعاصرة

الإسراف في الماء اتخذ أشكالًا متعددة في حياتنا اليومية، منها:

- ترك الصنابير مفتوحة أثناء الاستخدام.
- استخدام الخراطيم بغزارة لغسل السيارات والأرصفة.
- إهمال إصلاح تسربات المياه في المنازل.
- ريّ المزروعات بشكل فائض.
- هدر المياه في المطاعم والفنادق بسبب سوء الإدارة.
- إعادة تعبئة أحواض السباحة دون ترشيد أو تغطية.
- تلويث مصادر المياه بالنفايات والمواد الكيميائية.
- حفر الآبار العشوائية وزراعة محاصيل شرهة للماء في مناطق جافة.

هذه الممارسات ليست أخطاءً عابرة، بل سلوكيات تحتاج إلى مراجعة جذرية. وكل قطرة مهدرة قد تكون سببًا في حرمان إنسانٍ آخر من حقه في الحياة.

عادات عملية لترشيد الماء:

1. إغلاق الصنبور عند عدم الحاجة مثلاً أثناء غسل الأطباق، تنظيف الأسنان، الحلاقة...
2. تشغيل الغسالات وهي ممتلئة فقط واختيار برامج اقتصادية أقل استهلاكاً للماء.
3. استخدام الأوعية بدل الماء الجاري سواء في غسل الخضروات والأرضيات والسيارات ونحو ذلك.
4. إعادة استخدام المياه النظيفة للري.
5. تقليل زمن الاستحمام وتركيب أدوات اقتصادية.
6. إصلاح التسربات فورًا.
7. اعتماد أنظمة منزلية موفرة.
8. استخدام الري بالتنقيط والسقي في الأوقات المناسبة.
9. جمع مياه الأمطار للاستفادة منها.
10. جعل الترشيد ثقافة أسرية دائمة

أثر الإسراف على البيئة

- الإسراف في الماء يهدد البيئة ويقيد مستقبل الأجيال القادمة.
- الاستهلاك الجائر للمياه الجوفية والسطحية يسبب نضوب الآبار، هبوط التربة، وجفاف الأنهار والبحيرات.
- الإسراف يؤدي إلى تدمير النظم البيئية المائية وفقدان التنوع البيولوجي.
- زيادة الملوثات وانتشار الأمراض بسبب نقص المياه النظيفة.
- هدر الماء يعني هدر الطاقة وزيادة الانبعاثات الكربونية وتفاقم التغير المناخي.
- ندرة المياه تجبر الدول على بناء سدود باهظة الثمن وتؤدي إلى نزوح السكان وصراعات سياسية.
- التصحر وانخفاض الإنتاج الزراعي يهددان الأمن الغذائي العالمي.
- الإسراف يضعف النمو الاقتصادي، ويهدد الصحة العامة والاستقرار الاجتماعي والثقافي.
- معالجة آثار الإسراف المالية باهظة وتستنزف الموارد الوطنية.

دور الأسرة والمجتمع

الأسرة هي اللبنة الأولى في ترسيخ ثقافة الترشيد، عبر القدوة الحسنة وتعليم الأبناء قيمة الماء. ويكمل المجتمع هذا الدور من خلال المدارس والمساجد والإعلام، بنشر الوعي ودعم المبادرات البيئية في إدارة المياه، وتشجيع التعاون بين الجيران والشركات والحكومات المحلية.

كذلك المرأة والشباب، وكبار السن لهم أدوار محددة وفعّالة في نقل الخبرة وتعزيز الترشيد إلى جانب التكافل الاجتماعي والرقابة الشعبية الذاتية، وهكذا يجعلون الترشيد جزءًا من القيم المجتمعية، بحيث يبدأ التغيير من كل منزل وكل حي، ويصبح التضامن المائي رمزًا لمجتمع راقٍ يحفظ نعمه ويصون مستقبله.

خاتمة

الماء آيةٌ من آيات الله، وأمانةٌ في أعناقنا، واختبارٌ لشكرنا.

لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فالقطرات تُهدر كل لحظة.

ابدأ الآن بخطوةٍ بسيطة، فكل قطرةٍ تحفظها شهادة لك أنك كنت حافظًا لنعمة ربك.

القطرة تجتمع نهرًا، والجهد الفردي يتحول إلى وعيٍ جماعيّ يصنع التغيير.

فلنكن من الشاكرين المحافظين على نعم الله، ولنجعل ترشيد الماء سلوكًا دائمًا لنا ولأجيالنا القادمة.

---

(1) [الأنبياء: 30].
(2) (البخاري: 6962).





لقراءة المجلات السابقة امسح الرمز:

المقر الرئيسي :

فيضان مدينة

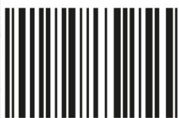
بجوار شركه الاتصالات الباكستانة، شارع الجامعة، كراتشي، باكستان

arabicdawateislami.net arabic@dawateislami.net

Dawateislamiar +92 311 6336937







978-969-722-940-6

01130347